

حَيْبُ بْنُ مِسْلَمَةَ الْفَهْرِيُّ

الصحابي الذي أخترق حصون المدن الأوروبية
بفتوحاته في عصر صدر الإسلام



د. نكتل يوسف محسن

عضو لجنة تأليف المناهج في العراق
والهيئة الاستشارية العليا لمؤسسة أريد

حبيب بن مسلمة الفهري: الصحابي الذي أخترق حصون المدن الأوربية
بفتوحاته في عصر صدر الإسلام

د. نكتل يوسف محسن

عضو لجنة تأليف المناهج في العراق

والهيئة الاستشارية العليا لمؤسسة أريد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

سورة الفتح 29

لم تكن أسرة مسلمة والد حبيب من الأسر المشهورة في مكة، ولكن حدثاً ما يلوح بالأفق ويوشك أن يقع، سيكون من شأنه رفع مكانة هذه الأسرة ومنزلتها بين منازل المسلمين، وهو بروز حبيب بن مسلمة على الساحة العسكرية، قائداً وفتحاً وناشراً للإسلام، وركناً ركيناً تتسابقُ الزعاماتُ السياسيةُ على استقطابه.

المؤلف

رعاة الكتاب



المحفل العلمي الدولي
www.almahfal.org



منصق أريد العلمي
www.arid.my



جامعة أريد الدولية
university.arid.my



أكاديمية أريد لعلوم الفضاء
falak.arid.my



وقف الذكاء الاصطناعي
www.waqf.ai



القرية العلمية
sci-village.com



أبصر فايزر للمبتعات الاختصاصية
www.abservisior.com



منصق الفاتحة
www.fatiha.id



منصق أبناء العلماء
sos.arid.my



منصق قادرة
www.qadirah.com



أبصر للتعليم الإلكتروني
www.abser.org



بوابت فلسبي للدفع الإلكتروني
www.filspay.com

مُقدِّمة

الحمدُ لله ذي النِّعمِ، أوجدَ الإنسانَ من العَدَمِ، وعَلَّمَهُ ما يَنْفَعُهُ بالقَلَمِ،
والصلاة والسلامُ على سيِّدِ العَرَبِ والعَجَمِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَمَنْ بَنَهِجَهُ سارَ
والتَّزَمَ وَبَعَدُ.

يُعَدُّ البَحْثُ في التراجُم الإسلاميَّة من الكُنوز العلميَّة التي يَغفلُ عنها الكثيرُ من
الباحثين ، إذ يكون مَفصلاً مُهمًّا من مَفاصلِ التاريخ الإسلامي ، ورُكنًا رَكيئًا لا
يُستغنى عنه في الجَوانبِ الشخصيَّة أو العامَّة في المَجالاتِ السياسيَّة
والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والدينيَّة والثقافيَّة ، فَمِنَ خلالِ التعمُّقِ بأغوار
الشخصيَّة والاطِّلاعِ على مَراحلِ حياتِها بصورةٍ خاصَّة والتاريخ الإسلامي بصورةٍ
عامَّة ، نَجِدُ ما يروي ظمئنا ويُلبي احتياجنا ويُسندُ أقوالنا ، وعلى النقيضِ تمامًا
مما تُقدِّمُهُ كتبُ التاريخ العامِّ بالرُّغم من أهميَّتها في عمليَّة البَحْثِ التاريخي
وتغطيتها لِقرونٍ طويلةٍ ولكَثيرٍ تتجاوزُ التفاصيلَ الدقيقَةَ التي تُركِّزُ عليها كتبُ
التراجُم .

وَمِنَ هُنا كانَ اختيارُنا لموضوعِ الكتابِ الموسومِ : " حبيب بن مسلمة الفهري رضي
الله عنه : الصحابي الذي أخترق حصون المدن الأوربية بفتوحاته في عصر صدر
الإسلام " تسليطاً للضوء على حياة هذا الصحابي الجليل الذين كان له أثرًا بالغًا
في الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين وحتى بداية العصر الاموي ، والتي
لم تقتصر على جبهات العراق وفارس ومصر والشام والمغرب بل تجاوزتها الى
أعمق مناطق الثغور التي تُعدُّ الآن أطراف القارة الأوربية وجزءاً من أراضيها
والمتمثلة ببلاد القوقاز والتي شملت أرمينيا وأذربيجان وجورجيا وأجزاء من
جمهورية روسيا الاتحادية مثل الشيشان وداغستان وبعض أجزاء تركيا .

تهدفُ الدراسة إلى كشفِ الدَّورِ الذي لَعِبَهُ الصحابةُ الكرامُ في الفتوحات الإسلامية في الشام والاندلس (الجزيرة) والقوقاز في عصر الخلافة الراشدة، إذ اجتمع في صعوبة الفتح وُعورة تلك المناطق وقساوة المناخ البارد المثلج، فضلاً عن بُعدها عن مركز الخلافة في المدينة المنورة ، وقوة وشراسة الأقباط التي سكنت تلك المناطق.

منهجياً تم تقسيمُ الكتاب الى تمهيد وخمسة فصول رئيسة تحدث الفصل الأول الصحابة وجهادهم مع النبي والخلفاء الراشدين وفتوحاتهم التي وسعت الدولة الإسلامية حتى نهاية خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتحدث الفصل الثاني عن حياة حبيب بن مسلمة رضي الله عنه ونشأته إذ تم التعرض لأسمه ونسبه وكنيته ولقبه، فضلاً عن نشأته وصفاته الخلقية ووفاته (رحمه الله) وأقوال الصحابة والمؤرخين فيه ، أما الفصل الثالث والذي تناول حياته الأسرية بما في ذلك زوجاته وبنائه ومواليه ، فيما كرس الفصل الرابع : جهوده في الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي خلال حكم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل ، وتحدث الفصل الخامس عن موقفه من خلاف علي ومعاوية (رضي الله عنهما) ، إذ تناول موضوعات جذور العلاقة ونصرة عثمان ، علاقته مع معاوية بن أبي سفيان أميراً وخليفةً

وفي الختام نشكرُ الله الذي هدانا لهذا، كما نتقدّم بالشكر لمن أبدى لنا مساعدة في انجاز هذا البحث ونعترف بفضلته، ولا ندعي الكمال فهو كما يقول الذهبي: عزيز وهو لله وحده ، فما كان من صواب فمن الله عزّ وجلّ أصلٌ كلّ خيرٍ ، وما كان من تقصير فمن أنفسنا القاصرة ، والخيرُ أردنا ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين .

تمهيد

فتوحات المسلمين في الأراضي الأوروبية خلال القرن الأول الهجري

شهد القرن الأول الهجري (السابع والثامن الميلادي) حركة فتوحات واسعة شملت الأراضي الأوروبية، والتي تمثل بداية التأثير الإسلامي في الغرب تميزت هذه الفتوحات بالسرعة والتنظيم، ما مكّن المسلمين من تأسيس وجود قوي في مناطق استراتيجية. ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين رئيسيين:

المبحث الأول: خلفيات وأسباب الفتوحات الإسلامية في أوروبا

عاشت القارة الأوروبية في القرن الأول الهجري، حالة من التمزق السياسي والانقسام بين الممالك الصغيرة والإمبراطوريات الكبرى، مثل الإمبراطورية البيزنطية وممالك القوط في شبه الجزيرة الإيبيرية. عانت هذه المناطق من ضعف في البنية العسكرية وصراعات داخلية، ما جعلها أرضاً خصبة للفتح. المسلمون، الذين تحركوا بدوافع دينية وسياسية، استفادوا من هذا الضعف لاستغلال الفرص المتاحة للتوسع. أتاح قرب شمال إفريقيا من أوروبا عبر البحر المتوسط نقطة انطلاق استراتيجية للمسلمين للوصول إلى شبه الجزيرة الإيبيرية والمناطق المجاورة.

كانت الدوافع الدينية جزءاً أساسياً من حركة الفتوحات، إذ حمل المسلمون رسالة نشر الإسلام وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية. أما الدوافع السياسية، فتمثلت في توسيع دائرة النفوذ الإسلامي وتأمين حدود الدولة الإسلامية، خاصة بعد استقرار الأوضاع في شمال إفريقيا.

قاد المسلمون هذه الفتوحات أيضًا رغبةً في السيطرة على الموارد الاقتصادية وتحقيق الاستقرار الداخلي من خلال فتح مناطق جديدة تسهم في تعزيز الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الأول: فتوحات المسلمين في تركيا والقوقاز وأذربيجان وجورجيا

خلال القرن الأول الهجري

شهد القرن الأول الهجري توسعًا كبيرًا للدولة الإسلامية باتجاه المناطق الشمالية الشرقية من العالم الإسلامي، شملت تركيا الحالية، أذربيجان، القوقاز، وجورجيا. كانت هذه الفتوحات ذات أهمية استراتيجية وجغرافية، حيث أسهمت في تعزيز نفوذ الإسلام في آسيا الصغرى والقوقاز وربط المناطق الإسلامية بممرات تجارية وعسكرية حيوية.

المطلب الثاني: دوافع الفتوحات الإسلامية في منطقة القوقاز وآسيا

الصغرى

كانت مناطق آسيا الصغرى والقوقاز وأذربيجان وجورجيا ذات أهمية استراتيجية للدولة الإسلامية لعدة أسباب:

1. الموقع الجغرافي: تشكل هذه المناطق حلقة وصل بين آسيا وأوروبا، ما جعلها محط اهتمام القوى العظمى في ذلك الوقت.
2. الموارد الاقتصادية: احتوت هذه المناطق على موارد طبيعية غنية، خاصة أذربيجان التي كانت تشتهر بآبار النفط والموارد الزراعية الوفيرة.
3. تأمين الحدود الإسلامية: ساعدت هذه الفتوحات في حماية المناطق الإسلامية من الهجمات البيزنطية والممالك المحلية في القوقاز.

المبحث الثاني: أبرز الفتوحات الإسلامية في شرق أوروبا

المطلب الأول: فتوحات المسلمين في أذربيجان والقوقاز

بدأت الفتوحات الإسلامية في منطقة أذربيجان خلال خلافة عمر بن الخطاب، حيث أرسل جيوشًا بقيادة عتبة بن فرقد لفتح المنطقة. واجه المسلمون مقاومة قوية من سكان أذربيجان، ولكنهم نجحوا في السيطرة على المنطقة بعد معارك شديدة.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان، توسعت الفتوحات لتشمل مناطق القوقاز مثل أرمينيا وجورجيا، حيث قاد حبيب بن مسلمة الفهري حملات عسكرية ضد الممالك المحلية. تمكن المسلمون من إخضاع هذه المناطق جزئيًا عبر اتفاقيات هدنة فرضت عليهم الجزية، مع الحفاظ على الحكم الذاتي.

المطلب الثاني: التوسع في آسيا الصغرى (تركيا الحالية)

بدأت محاولات المسلمين لاختراق آسيا الصغرى منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، الذي قاد حملات بحرية وبرية ضد البيزنطيين. كانت أبرز هذه المحاولات الحملة على القسطنطينية، التي شارك فيها الصحابي أبو أيوب الأنصاري، والتي لم تُحقق نجاحًا كاملًا لكنها أظهرت تصميم المسلمين على التوسع في هذه المناطق.

خلال خلافة عبد الملك بن مروان، استمر التوسع في مناطق شرق الأناضول، حيث سيطر المسلمون على قواعد عسكرية مهمة، مثل ملطية وأرضروم، مما عزز وجودهم العسكري في المنطقة.

لقد أسهمت الفتوحات الإسلامية في الأناضول وأذربيجان وجورجيا في نشر الإسلام وتعزيز الهيمنة الإسلامية في مناطق مهمة جغرافيًا واستراتيجيًا.

رغم التحديات والمقاومة الشرسة التي واجهها المسلمون، نجحت هذه الفتوحات في وضع أسس للتفاعل الحضاري والثقافي بين المسلمين وشعوب تلك المناطق، مما أثرى التاريخ الإسلامي والغربي على حد سواء.

المبحث الثالث: أبرز الفتوحات الإسلامية في جنوب أوروبا

المطلب الأول: فتح الأندلس وأثره الاستراتيجي

كان فتح الأندلس (92هـ/711م) من أبرز الأحداث في تاريخ الفتوحات الإسلامية، بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير. بدأ المسلمون بالعبور إلى شبه الجزيرة الإيبيرية من شمال إفريقيا، مستغلين الصراعات الداخلية في مملكة القوط.

نجح المسلمون في تحقيق انتصارات سريعة، أبرزها معركة وادي لكة، التي أنهت حكم القوط في الأندلس. ساهم هذا الفتح في تأسيس قاعدة إسلامية قوية، أصبحت مركزاً للحضارة الإسلامية لعدة قرون.

المطلب الثاني: محاولات التوسع في جنوب فرنسا وتأثيرها

بعد استقرارهم في الأندلس، سعى المسلمون للتوسع شمالاً نحو جنوب فرنسا، حيث قاد عبد الرحمن الغافقي حملة عسكرية في عام 114هـ/732م. حققت القوات الإسلامية انتصارات مبدئية، لكنها توقفت في معركة بلاط الشهداء أمام قوات الفرنجة بقيادة شارل مارتل.

رغم فشل المسلمين في التوسع شمالاً، فإن هذه المحاولات أظهرت قوة الدولة الإسلامية وأثرت على السياسة الأوروبية، مما دفع الممالك الأوروبية إلى تعزيز دفاعاتها ضد التهديد الإسلامي.

شكلت الفتوحات الإسلامية في الأراضي الأوروبية خلال القرن الأول الهجري علامة فارقة في تاريخ التفاعل بين العالمين الإسلامي والمسيحي. لم تقتصر هذه

الفتوحات على الأبعاد العسكرية، بل أسهمت في نقل الثقافة والحضارة الإسلامية إلى أوروبا، مما أثرى التراث الأوروبي لعصور طويلة.

الفصل الأول: جهود الصحابة في الفتوحات الإسلامية

كان للصحابة رضي الله عنهم دور عظيم في نشر الإسلام وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، حيث بذلوا أرواحهم وأموالهم في سبيل الله، وجعلوا من جهادهم نموذجًا خالدًا للتضحية والقيادة.

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، شارك الصحابة في الغزوات الكبرى، مثل بدر وأحد والخندق، وكانوا حجر الزاوية في انتصارات المسلمين. أظهروا شجاعة فائقة وحرصًا على نشر رسالة الإسلام، فكان أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، من أبرز القادة الذين تحملوا مسؤوليات جسامًا في دعم الدعوة الإسلامية.

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، استمر الصحابة في حمل راية الإسلام. في عهد أبي بكر الصديق، تصدى الصحابة لحروب الردة التي هددت وحدة المسلمين، وأرسل الجيوش بقيادة خالد بن الوليد لفتح العراق وبعض مناطق فارس. ثم جاء عهد عمر بن الخطاب الذي شهد الفتوحات الكبرى، حيث تمكن الصحابة من فتح بلاد الشام ومصر والعراق وفارس. كان الصحابة، مثل سعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص، قادة بارعين أظهروا حكمة في التخطيط وشجاعة في الميدان.

امتدت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان بن عفان لتشمل شمال إفريقيا والقوقاز، حيث قاد الصحابة جيوشًا فتحت أرمينيا وأذربيجان، وبدأت التوسع في أوروبا. كانت هذه الفتوحات رمزًا لتفاني الصحابة وإصرارهم على نشر الإسلام في أرجاء العالم.

تميزت جهود الصحابة بالعدل والرحمة في التعامل مع الشعوب المفتوحة، ما أدى إلى قبول واسع للإسلام. تركوا بصمة عظيمة في التاريخ الإسلامي، ونجحوا في بناء حضارة عظيمة امتدت لقرون، لتظل ذكراهم حية في قلوب المسلمين.

المبحث الأول: الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ

المطلب الأول: حياة الصحابة في الإسلام وأثره بهم

الصحابي لغة: تعود اللفظة الى الفعل الثلاثي: صَجِبَ: صَجِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً، وَصَحَابَةً، بِالْفَتْحِ، وَصَاحِبَتُهُ: عَاشِرُهُ وَالصَّحْبُ: جَمْعُ الصَّاحِبِ (1).

أما اصطلاحاً: فيُعرف بأنه من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وطالت صحبته معه، وإن لم يرو عنه صلى الله عليه وسلم، (2) وقيل حتى وإن رآه ساعة من نهار وأمن به ومات على ذلك فهو صحابي (3).

والصحابه طبقات اعلاهم وارفعهم منزلة: اهل بدر ثم من شارك في احد الى الحديبية ثم من شارك بالفتح ثم مسلمة الفتح ، ومسلمة الوفود ، وقد اختلف في عددهم في المصادر التاريخية إذ ابن عبد البر عن أبي زرعة وسئل عن عدة من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال ومن يضبط هذا شهد معه حجة الوداع تسعون ألفا وشهد معه تبوك أربعون ألفا والله أعلم رجعنا إلى قول ابن حزم قال ابن حزم ووفد عليه وفود جميع البطون من جمع قبائل العرب وكلهم صاحب وعددهم بلا شك يبلغ أزيد من ثلاثين ألف إنسان ووفد عليه ﷺ

(1) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، تحقيق: عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي، 590/1.

(2) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، ضبطه وصححه لجنة من لجنة الاشراف، 132.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، 5/7.

وفود الجن فأسلموا وضح لهم اسم الصحبة وأخذوا عنه صلى الله عليه وسلم القرآن وشرائع الإسلام.(4)

المطلب الثاني: أثر الصحابة في الدعوة إلى الإسلام

أن غاية الفتوحات الإسلامية العليا كانت الدعوة إلى الله وإيصال دينه الحق إلى اناس في اقطاب العالم من دون اكراه، ولكن ذلك لم يكن لم يتم الا بإزالة معوقات هذه الدعوة من الانظمة السياسية المتجبرة والتي كانت تقف كالصخرة في مجرى النهر فتمنع انسيابه وتعيق حركته ، وكان لا بد من ازالتها "لحماية الاختيار" لدى لناس .

لقد دخل الصحابة الى اطراف القارة الاوربية في العصر الراشدي وباعداد كبيرة لا سيما في الحملات الاولى، لقد كان هذا الجمع الهائل لا يقابل قبيلة الا دعاها للإسلام، ولا يغزو قوما الا عرض عليهم الاسلام ، ثم الجزية واخيرا القتال ، وقد أتت هذه الدعوات أكلها – وانت تأخرت قليلاً لحين اكتمال متطلبات الدعوة ونيل القبول .

لقد كان الصحابة، رضوان الله عليهم، اللبنة الأولى التي أقام عليها النبي صلى الله عليه وسلم دعائم الدولة الإسلامية. عاشوا في مجتمع الجاهلية، حيث كان الظلم، والعصبية القبلية، وعبادة الأصنام تسود حياتهم. برغم ذلك، اختار الله من بينهم رجالاً ونساءً ميزهم بحكمة وفطنة، وجعلهم منارات هدى للأمة.

قبل الإسلام، كان أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، تاجرًا ناجحًا ومعروفًا بصدقه وحسن أخلاقه، ما جعل إسلامه مؤثرًا على كثيرين. أما عمر بن

(4) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الحنفي ، معي الدين عبد القادر بن محمد (ت:

775هـ)، تحقيق: مير محمد ، 414/2.

الخطاب، فكان رجلاً ذا بأسٍ وشدة، لكنه امتلك نزاهة وعدلاً حتى قبل الإسلام، وهي صفات أظهرها الإسلام بقوة لاحقاً (5).

عندما جاء الإسلام، أحدث تحولاً جذرياً في نفوس الصحابة، فأصبحت حياتهم مبنية على الإيمان بالله وحده ونبت العصبية والظلم. تغيرت الأولويات؛ فأصبحوا قادة أخلاقيين وروحانيين، يبذلون أنفسهم ومالهم لنصرة الدين. أثر الإسلام فيهم يتضح من كلمات مثل قول عمر بن الخطاب: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً" (6).

المطلب الثالث: دور الصحابة في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم

كان الصحابة العمود الفقري الذي اعتمد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في تحقيق أهداف الإسلام العسكرية والسياسية. في غزوة بدر، أظهروا شجاعة نادرة، حيث قاتلوا رغم قلة عددهم وعدتهم، وكان النصر بفضل الله ثم بفضل إيمانهم الراسخ.

وفي غزوة أحد، تعلموا درساً قاسياً عندما خالف بعضهم أوامر النبي، ما أدى إلى خسارة مؤقتة. لكن هذه التجربة صقلتهم، وجعلتهم أكثر وعياً بمسؤولياتهم. أما في غزوة الخندق، فكانت مواقف الصحابة مثل سلمان الفارسي، الذي اقترح فكرة حفر الخندق، دليلاً على فطنتهم وابتكارهم في مواجهة الأعداء (7).

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3/157-165.

(6) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: 1988)، ط7، 70/1.

(7) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: 1988)، ط5، 79/1.

لقد رسخت هذه الغزوات أدوار الصحابة كقادة عسكريين ومخططين استراتيجيين. كانت مشاركتهم جزءاً لا يتجزأ من نجاح الإسلام في تثبيت دعائمه في شبه الجزيرة العربية.

المبحث الثاني: جهود الصحابة في عصر الخلفاء الراشدين

لعب الصحابة دورًا محوريًا في تحقيق الاستقرار للدولة الإسلامية ونشر الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية، وذلك خلال عصر الخلفاء الراشدين. فقد كانت جهودهم العسكرية تتسم بالإخلاص والشجاعة والتخطيط المحكم، مما جعلهم العمود الفقري للجيش الإسلامية التي قادت الفتوحات العظيمة.

المطلب الأول: دور الصحابة في الفتوحات الإسلامية في عهد الصديق

بعد وفاة النبي ﷺ، واجه المسلمون تحديًا خطيرًا تمثل في حروب الردة. كان الصحابة، بقيادة أبي بكر الصديق، في مقدمة من تصدى لهذه الفتنة. فقد أرسل الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد وغيره على رأس الجيش الإسلامي، فكان من أعظم القادة الذين قادوا جيوش المسلمين في هذه الفترة. تجلت عبقرية خالد في حروب الردة، مثل معركة "اليمامة"، التي انتصر فيها المسلمون على مسيلمة الكذاب. لم تقتصر جهود الصحابة على توحيد الجزيرة العربية فقط، بل بدأوا في التوسع نحو العراق وبلاد فارس. كان أبو بكر يقول: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" (8).

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، 343/6.

المطلب الثاني: دور الصحابة في توسع الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب

في عهد عمر بن الخطاب، بلغت الفتوحات الإسلامية ذروتها. كان الصحابة أمثال سعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح قادة الفتوحات الكبرى. في معركة القادسية، تمكن سعد من كسر شوكة الفرس وفتح أبواب العراق للمسلمين.

أما في بلاد الشام، قاد أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد معركة اليرموك⁽⁹⁾ التي كانت من أعظم المعارك ضد الإمبراطورية البيزنطية. كان النصر في هذه المعارك سببًا في إدخال الإسلام إلى مناطق واسعة من العالم⁽¹⁰⁾. إضافة إلى الفتوحات، ساهم الصحابة في تنظيم الدولة، فأنشأوا الدواوين، ونظموا الجيوش، وأسسوا أنظمة الإدارة التي استمرت لقرون.

(9) معركة اليرموك وقعت عام 15 هـ (636م) بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والجيش البيزنطي قرب نهر اليرموك في غور الأردن. تُعد من أهم المعارك في التاريخ الإسلامي، حيث مهدت لفتح بلاد الشام. استمرت المعركة ستة أيام، وانتهت بانتصار حاسم للمسلمين رغم تفوق البيزنطيين العددي. هذا الانتصار أدى إلى تراجع النفوذ البيزنطي في المنطقة وتثبيت سيطرة المسلمين على الشام. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 14-7/7.

(10) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1997)، 148 وما بعدها.

المبحث الثالث: توغل الصحابة في بلاد الروم والقوقاز

تمد بلاد الروم البيزنطيين إلى المناطق التي كانت تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية (الروم الشرقية)، وتشمل أجزاءً واسعة من آسيا الصغرى (تركيا الحالية)، بلاد الشام، البلقان، ومناطق من شرق وجنوب أوروبا، حيث كانت القسطنطينية (إسطنبول الآن) عاصمتها.

أما بلاد القوقاز: فهي المنطقة الجغرافية الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود، تشمل اليوم دولاً مثل أرمينيا، أذربيجان، جورجيا، وشمال القوقاز الروسي. تميزت بموقعها الاستراتيجي بين أوروبا وآسيا وثقافتها المتنوعة.

المطلب الأول: جهود الصحابة في فتح أجزاء من بلاد الروم

بعد استكمال فتح الشام، استمر الصحابة في التوسع نحو مناطق الروم. كان عمرو بن العاص من أبرز القادة الذين تولوا هذه المهمة. قاد الجيش لفتح فلسطين ومناطق الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

وفي شمال الشام، واصل الصحابة المعارك مع الروم، حيث قاتلوا في معارك مثل "فحل" و"أجنادين"، وحققوا انتصارات حاسمة مهدت الطريق لتوغل أعمق في الأراضي البيزنطية. كان خالد بن الوليد، بعبقريته العسكرية، يقود الجيوش الإسلامية لتحقيق النصر تلو النصر.

المطلب الثاني: جهودهم في التوسع شمالاً نحو القوقاز

بدأ اهتمام المسلمين بالمنطقة الجغرافية الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين، والمشملة على جبال القوقاز التي تعدّ حاجزاً طبيعياً بين أوروبا وآسيا. خلال الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث قاد الصحابي عبد الرحمن بن ربيعة الفتوحات نحو أرمينيا وأذربيجان وأجزاء من

القوقاز. أشار البلاذري (11) إلى توغل المسلمين في المنطقة لنشر الإسلام، وتصديهم للخزر(12)، كما ذكرها ابن كثير(13) عند الحديث عن المعارك الكبرى ضد البيزنطيين والخزر(14).

شكلت القوقاز منطقة استراتيجية وحيوية، حيث استخدمها المسلمون لتأمين حدود الدولة الإسلامية الشمالية، ونشروا الإسلام فيها بالعدل والتجارة. بدأ المسلمون التوغل في القوقاز في عهد عثمان بن عفان. كان عبد الرحمن بن ربيعة القائد الذي قاد الفتوحات في أرمينيا وأذربيجان. كانت هذه المناطق ذات تضاريس صعبة وشعوب مختلفة الثقافات، لكن الصحابة تمكنوا من نشر الإسلام عبر القوة والرحمة في آنٍ واحد.

نجح الصحابة في كسب احترام سكان هذه المناطق من خلال عدلهم، ما ساعد في انتشار الإسلام هناك بسرعة. امتدت جهودهم إلى ما وراء الفتوحات العسكرية، حيث أدخلوا تعاليم الإسلام ونشروا اللغة العربية.

(11) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، أبو بكر البغدادي؛ كان من ندماء المتوكل، كان جده جابر يخدم الخصب صاحب مصر، سمع بدمشق هشام بن عمار وأبا حفص ابن عمر بن سعيد، وبحمص محمد بن مصفى وبالعراق عفان بن مسلم وعبد الأعلى، وكان كثير الهجاء بذئ اللسان أخذاً لأعراض الناس مات في أيام المعتضد. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، 1/155.

(12) البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1990)، 313.

(13) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير (701-774هـ/1301-1373م)، فقيه ومفسر ومؤرخ شافعي، وُلد في بصرى الشام ونشأ في دمشق. يُعد من أبرز علماء عصره، اشتهر بكتابه "البداية والنهاية"، وهو موسوعة تاريخية تروي أحداث العالم منذ الخلق إلى زمانه، إضافة إلى تفسيره المسمى "تفسير ابن كثير". ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/15.

(14) ابن كثير، البداية والنهاية، 7/151.

المبحث الرابع: أثر جهود الصحابة في بناء الحضارة الإسلامية

نشأت الحضارة الإسلامية في القرن السابع الميلادي مع ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية. قامت على أسس دينية وأخلاقية، تمزج بين التعاليم الإسلامية والقيم الإنسانية. شهدت مراحلها الأولى تطورًا سريعًا في مجالات السياسة والإدارة، مع توحيد العرب تحت راية الإسلام.

تميزت ببناء الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، حيث تأسست نظم العدالة والشورى. امتدت الفتوحات الإسلامية إلى مناطق واسعة، ما أدى إلى تبادل ثقافي مع الحضارات الأخرى.

المطلب الأول: تعزيز القيم الإسلامية في المناطق المفتوحة

حمل الصحابة رضي الله عنهم قيم الإسلام من عدل ورحمة ومساواة أينما ذهبوا، وحرصوا على تعليم الشعوب المفتوحة القرآن الكريم والسنة النبوية. وتعاملوا مع الشعوب المهزومة بإنسانية، ما جعلهم يقبلون الإسلام عن طيب نفس.

كان الصحابة يدركون أن الإسلام ليس دين حرب فقط، بل دين بناء وتعمير. لذلك، ساهموا في نشر ثقافة الحوار والاحترام المتبادل بين الشعوب.

عند فتح المناطق الجديدة، حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعزيز القيم الإسلامية كجزء من رسالتهم الدعوية. لم تكن الفتوحات الإسلامية مجرد توسع عسكري، بل كانت وسيلة لنشر العدالة، وتعليم الناس الإسلام بروح الرحمة والمساواة.

ركز الصحابة على نشر القيم الإسلامية من خلال تطبيق العدل بين الشعوب المفتوحة، بغض النظر عن دياناتهم أو أعراقهم. كان عمر بن الخطاب رضي الله

عنه يقول: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"، وهو ما طبّقه الصحابة في الحكم، حيث حظي السكان المحليون بالاحترام والحقوق. وفي بلاد الشام والعراق، أظهر الصحابة رحمة ملحوظة في تعاملهم مع الشعوب المفتوحة. يذكر البلاذري كيف ضمن المسلمون لأهل الشام حريتهم الدينية وحمائهم مقابل دفع الجزية، ما جعل كثيرًا منهم يعتنق الإسلام طواعية⁽¹⁵⁾.

كما ساهم الصحابة أيضًا في تعليم القرآن الكريم وتعاليم الإسلام، فكانوا يُرسلون العلماء والمقرئين لتعليم الناس. ذكر الطبري أن الصحابة أنشأوا مدارس لتعليم الدين في الكوفة والبصرة، وساهموا في نقل القيم الإسلامية إلى السكان الجدد⁽¹⁶⁾.

علاوة على ذلك، ركز الصحابة على احترام العهود والمواثيق، كما فعل عمرو بن العاص في مصر، حيث حافظ على سلامة الأقباط وأمنهم⁽¹⁷⁾. لقد أدى هذا النهج إلى قبول واسع للإسلام بين الشعوب المفتوحة، مما عزز وحدة الدولة الإسلامية وقيمها الحضارية.

(15) البلاذري، فتوح البلدان، 144.

(16) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1995)، 227/4.

(17) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 220/1.

المطلب الثاني: التأثير الحضاري والديني لفتوحات الصحابة

امتدت آثار فتوحات الصحابة إلى بناء حضارة إسلامية استمرت لقرون ساهموا في نشر اللغة العربية، التي أصبحت لغة العلم والأدب كما أسسوا نظامًا إداريًا وسياسيًا متماسكًا ساعد في استقرار المناطق المفتوحة. أصبح المسلمون بفضل جهود الصحابة قادة العالم في مجالات العلم والدين. كان لهذه الفتوحات أثر عميق في بناء الهوية الإسلامية التي وحدت شعوبًا مختلفة تحت راية واحدة.

لقد كان للصحابة رضي الله عنهم دور محوري في نشر الإسلام وتوسيع رقعته، بدءًا من مشاركتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته، ووصولًا إلى فتوحاتهم الكبرى في عهد الخلفاء الراشدين. لقد أدوا أدوارًا سياسية وعسكرية ودينية جعلت من الإسلام قوة عظمى. تركوا بصماتهم واضحة في التاريخ الإسلامي، وشهدت إنجازاتهم على إخلاصهم لله ولرسوله.

الفصل الثاني: نشأته وصفاته الخلقية

المبحث الأول: نسبه ونشأته

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

وهو حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر القرشي الفهري⁽¹⁸⁾، أحد فرسان قريش والإسلام⁽¹⁹⁾، يكنى أبو عبد الرحمن، وأمه زينب بنت ناقش بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر⁽²⁰⁾.

ويُلقَّب بحبيب الروم⁽²¹⁾، لفرط دخوله عليهم وشدّة وقيعته فيهم وغزوه إيّاهم، وهي من أدلة شجاعته وقوّة بأسه وإقدامه (رضي الله عنه)، كما يلقب بحبيب الدروب⁽²²⁾، لعلّها نسبة إلى مناطق الدروب في آسيا الصغرى من أرض الروم والتي كان حبيب (رضي الله عنه) يكثر فيها غزواته، ذكر ابن خلدون أن منطقة الدروب في بلاد الروم تشير إلى الممرات والطرق الجبلية الواقعة على

(18) الفهري: بكسر الفاء وسكون الهاء بعدهما الراء، هذه النسبة إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وإليه ينتسب قريش ومحارب والحارث بن فهر، وقال الشاعر في قصي: به جمع الله القبائل من فهر. ينظر: السمعاني، عبد الكريم محمد بن منصور، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدرآباد: 1962)، ط 1، 268.

(19) ابن عبد البر، المصدر السابق، 320/1.

(20) ابن سعد، المصدر السابق، 187/2.

(21) ابن حجر، المصدر السابق، (22/2).

(22) ابن الأثير، اسد الغابة، 681/1.

الحدود بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية. كانت تُستخدم كمعابر استراتيجية للجيش خلال الحروب بين المسلمين والروم، خصوصًا في آسيا الصغرى (تركيا حاليًا). اشتهرت بأهميتها العسكرية في العصر العباسي خلال الحملات والغزوات⁽²³⁾.

(23) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، 4/120.

المطلب الثاني: نشأته وصفاته الخلقية

وُلدَ حبيبُ بن مسلمة بمكة في السنة الثانية قبل هجرة الرسول إلى المدينة المنورة (24)، وقد عدّه الكثيرُ من أهل التراجم من الصحابة (25)، وأكّد ذلك ابنُ سعد أنّ عمّره كان اثنتي عشرة سنةً حين تُوِّفِّي النبي (26)، وقد كان من مُسلمةِ الفتح حاله في هذا كحال الكثير من أهل مكّة، وقد أورد ابنُ ماجة وأبي

(24) الزركلي، خير الدين، الاعلام، دار العلم للملايين، (بيروت: 2002)، ط 15، 2/166.
(25) ذكر الزبير بن بكار ومصعب الزبيري والعسكري والبخاري وابو حاتم والدارقطني انه معدود في الصحابة وشاطرهم في هذا وكذلك الترمذي أبو عيسى، وأبو القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي في كتاب «الصحابة» تأليفهما، وكذلك إبراهيم بن المنذر الحزامي في كتاب «الطبقات»، والطبري في كتاب «الصحابة»، والطبراني في «المعجم الكبير»، وأحمد ابن أبي خيثمة في «تاريخه»، وأبو القاسم البغوي في «معجمه»، وجده في «معجمه» أيضا، وابن حبان وخرج حديثه في «صحيحه»، والباوردي، وابن قانع، وخليفة بن خياط في كتاب «الطبقات» والهيثم بن عدي في كتاب «الطبقات»، ومسلم في كتاب «الطبقات» وأبو نعيم الفضل بن دكين في «تاريخه الأكبر» ونسبه في كتاب «الصفوة». ووثيمة ابن موسى في كتاب «الردة»، وابن قتيبة في «المعارف»، وابن الأثير في «الأسد»، والمبرد، وأبو عمر بن عبد البر، وأبو نعيم الأصبهاني، وغير واحد في «جملة الصحابة». ينظر: مغلطاي، اكمال تهذيب الكمال، 3/377؛ وينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (3/188).

(26) ابن حجر، المصدر السابق، 2/171.

داود حديثاً عنه (27)، فضلاً عن الحميدي في المسند (28)، وسعيد بن منصور في السنن (29)، ما يعزّز من هذا الاتجاه ويقوّيه .

نشأ في مكة حيث وُلِدَ ، وزاده الله بسطةً في الجسم ، فعُدَّ من الطوال المميزين (30)، إذ ذُكِرَ أَنَّهُ كان تامَّ البَدَنِ ودخلَ مرَّةً على عمرَ فقال له إِنَّكَ لَجيدُ القناة قال إني جيدٌ سنانها (31)، وقد وظَّفَ بسطةَ جسمه في مرضاةِ الله فكان أَسَدَ الفتوح في بلاد الشام وبلادِ الروم ، وإن كان قد جنح الى الروم أكثر حتى غَلَبَ، عليه لَقَبُ " حبيبِ الروم " لكثرةِ دُخوله فيهم ونكايتِهِ بهم (32).

أُصِفَ حبيب (رضي الله عنه) بالتقوى والزهد والابتعاد عن التَّرفِ فقد ذُكِرَ ، أَنَّهُ دخلَ حَمَاماً بحمصَ، فقال : وهذا ممَّا يَتَنَعَّمُ به أهلُ الدنيا، لو مكثتُ فيه ساعةً لَهَلَكْتُ، ما أنا بخارجٍ منه حتى استغفرَ اللهُ تعالى (33) ، ممَّا يدلُّ عن ابتعاده عن التَّرفِ والتزامه الزُّهدَ ، كما يؤثِّرُ عنه شِدَّةُ التزامه بِسُنَّةِ النبيِّ ومن بعده من

(27) المكي ، محمد بن احمد الحسني (ت: 832هـ) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت: 1998)، ط1 ، 326/3.

(28) الحميدي، عبد الله بن الزبير، مسند الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، دار الكتب العلمية، (بيروت: د/ت) ، 384/2 .

(29) سعيد بن منصور ، المصدر السابق ، 381/2 .

(30) البلاذري ، المصدر السابق ، 150؛ وينظر: ابن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (597هـ) ، تليق فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (بيروت : 1997) ، ط1 ، 328 .

(31) الذهبي ، المصدر السابق ، 188/3 .

(32) ابن حجر ، المصدر السابق ، (22/2) .

(33) مغلطاي ، المصدر السابق ، 379/3 .

الخلفاء الراشدين ، فقد ذَكَرَ عنه معاويةُ بن أبي سفيان حينَ وفاته واصفاً له ،
وأما حبيبُ - فكان يقول: السُّنَّةُ السُّنَّةُ. يريدُ سُنَّةَ الشيخين - رضي الله عنهما⁽³⁴⁾.

وقد جمع (رضي الله عنه) بين الشجاعة والتقوى ، إذ كان من مُجَابِي الدَّعْوَةِ
فقد ذُكِرَ ، أنه غزا في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ مطيرةٍ فقال: قال للناس: سمعتُ رسولَ الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: لا يجتمعُ مألٌ فيدعو بعضهم ويؤمنُ بعضهم إلا
أجابهم الله. ثم أنه حمدَ الله تعالى وأثنى عليه وقال: اللهم خَلِّ لنا قمرها، واحبس
عنا قطرها، واحقن لي دماءَ أصحابي، وأكثبهم عندك شهداء. قال: ففعلَ اللهُ به
ذلك⁽³⁵⁾ ، ولم تكن هذه المَرَّةُ تجتمعُ في أيِّ رجلٍ ، ممَّا يدلُّ على تقواه وصلاحه ،
وكان يُكثِرُ من الحَوَقلةِ في غزواته يستعينُ بها على أعدائه ويطلبُ من الله العونَ
والمَدَدَ فقد كان ، إذا لقيَ العدوَّ ، أو ناهضَ حصناً يستحبُّ قول: لا حولَ ولا قُوَّةَ
إلا بالله، وأنته ناهضَ يوماً حصناً، فقالها، فانهمز الرومُ، وانصدعَ الجيشُ⁽³⁶⁾.

(34) الزركلي ، المرجع السابق ، 2/166 .

(35) مغلطاي ، المصدر السابق ، 3/379 ؛ الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب
(ت: 360هـ) ، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم
والحكم، (الموصل:1985)، ط2، 12/77 .

(36) مغلطاي ، المصدر نفسه ، 3/379 .

المبحث الثاني : ثناء الصحابة عليه و أقوال المؤرخين فيه

المطلب الاول : ثناء الصحابة عليه

لقد كان حبيب بن مسلمة بما امتلكه من صفاتٍ ومزايا ، محطَّ الأنظارٍ منذُ سنِّ مُبَكَّرَةٍ ، إذ كان الناسُ يذكرون صفاته لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بُغيةً الاستفادة منه في حروب التحرير والفتوح الإسلامية ، ولكنَّ أمير المؤمنين وبسبب وجود الكثير من أبطال الإسلام وقادتهم وأهل الرأي والسنِّ فهم آنذاك ، لم يُؤلِ الموضوعَ اهتمامه ، وذات مرّة دخلَ على الفاروق فرأه تامَّ البدنِ فقال له : إنَّكَ لَجيدُ القناةِ قال : - أي حبيب - إني جيدٌ سناها(37).

كما ذكَّر معاوية بن أبي سفيان حينَ وفاته واصفاً له ، وأمَّا حبيب - فكانَ يقول: السُّنَّةُ السُّنَّةُ. يريدُ سُنَّةَ الشيخين - (رضي الله عنهما)(38) ، لكثرة ما كان يلتزمُ منهجَ أبي بكرٍ وعمر في أحواله ، وكان لحبيب بن مسلمة نصيبٌ من شعر حسان شاعر الرسول إذ أثنى عليه ، مشيراً الى شجاعته وإقدامه في الحروب ونصرة الخليفة عثمان على من عاداه من الغوغاء والسبئية فقال :

إن تُمسي دارُ بني عقان خاليةً بابُّ صريعٌ وبابُّ مخرقٌ خربُ

فقد يُصادفُ باغيَ الخير حاجتَهُ فيها ويأوي إليه الذِّكرُ والحَسَبُ

يا أيُّها النَّاسُ أبدوا ذاتَ أنفسِكُمْ لا يستوي الصِّدقُ عندَ الله والكذبُ

إلَّا تَنبئوا لأمرِ الله تَعترفوا كتائبًا عُصبًا من خلفها عُصبُ

(37) ((الذهبي ، المصدر السابق ، 3/ 188 .

(38) ((الزركلي ، المرجع السابق ، 2/ 166 .

فهم حبيبُ شهابُ الحربِ يقدمُهم مُستلثما بدأ في وجهه الغَضَبُ⁽³⁹⁾
كما ذَكَرهُ الصَّحَابِيُّ القَاضِي شَريحُ بنِ الحارثِ في شعره فأشار إلى مرؤته قائلاً:
ألا كلُّ من يدّعي حبيباً وإن بدتْ مروءته يُفدي حبيبُ بني فِهر
همامٌ يقودُ الخيلَ حتى كأنما يطانُ برصراصِ الحصى جاحِمِ الجَمْرِ⁽⁴⁰⁾

(39) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت: 764هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ، (بيروت : 2000) ، 222/11 .
(40) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، 320/1 .

المطلب الثاني: أقوال المؤرخين وأصحاب التراجم فيه

لقد تناول المؤرخون وأصحاب التراجم سيرة الصحابي الفاتح حبيب بن مسلمة بالعبارة والدرس ، فقد ذكر ابن أبي خيثمة عنه قائلاً ، كَانَ شَرِيفًا ، قَدْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: حَبِيبُ الرُّومِيِّ؛ لكَثْرَةِ دُخُولِهِ عَلَيْهِمْ⁽⁴¹⁾، وقال عنه أبو نعيم كان يُؤمَّرُ على الجيوش والسرايا سكن الشام وتوفِّي بأرمينية⁽⁴²⁾.

وذكر الطبراني⁽⁴³⁾ في المعجم أنه كان من مجابي الدعوة فقال عنه ، غزا في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ مطيرة فقال: قال للناس: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: لا يجتمعُ ملأٌ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم اللهُ. ثم أنه حمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: اللهم خلِّ لنا قمرها، واحبسِ عنَّا قُطرها، واحقنْ لي دمَاءَ أصحابي، وأكثِبْهم عندك شهداء. قال: فَفَعَلَ اللهُ بِهِ ذَلِكَ⁽⁴⁴⁾.

(41) ابن أبي خيثمة، ابو بكر احمد، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة ، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، (القاهرة:2006) ، ط 1 ، 177/1.

(42) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى:430هـ) ، معرفة الصحابة ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، (الرياض : 1998) ، ط 1 ، 820/2.

(43) الطبراني هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي (260-360هـ/971-971م)، إمام في الحديث، وُلِدَ في طبرية بفلسطين ونُسب إليها. ارتحل في طلب الحديث إلى بلاد عدة، مثل الشام، الحجاز، مصر، العراق، واليمن، وسمع من كبار المحدثين. من أبرز مؤلفاته: المعجم الكبير، المعجم الأوسط، والمعجم الصغير، التي تُعد مصادر مهمة في علم الحديث. عُرف بسعة علمه وكثرة شيوخه وتلاميذه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 394/16.

(44) مغلطاي ، المصدر السابق ، 379/3 ؛ وينظر : الطبراني ، المعجم الكبير ، 77/12.

الفصل الثالث: حياته الأسرية وأراءه الفقهية

تغيّب الأضواء الكاشفة عن الحياة الأسرية لحبيب بن مسلمة، وتكتفي بذكر خجول في نصوص معدودة، لا يتوازن والدور البطولي والإقدام الكبير الذي مثله في الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي والأموي، ومما يزيد دائرة الاستغراب اتساعاً، أنه من قريش القبيلة التي سلّطت عليها أضواء المؤرخين في حقب زمنية مختلفة، كونها مهد الإسلام ومحلّ البعثة، وعنوان موضوع السيرة النبوية.

المبحث الاول : أسرته الأولى ونشأته في مكة

وُلِدَ حبيبُ لأبوين فهريين⁽⁴⁵⁾ وكان أبوه مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب القرشي الفهري⁽⁴⁶⁾، رجلاً من أهل مكة حاملَ الذِّكْرِ ، لم تَدْكُرْهُ النصوصُ إلا في موقفٍ واحدٍ وهو عندما ، جاء حبيبُ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأدركه أبوه ، فقال: يا نبيَّ الله ، إنَّ ابني يدي ورجلي⁽⁴⁷⁾، وفي رواية قال : إني ليس لي ولد غيره يقوم في مالي وضيعتي وعلى أهل بيتي⁽⁴⁸⁾، فلمَّا سمع نبيُّ الله هذا منه قال لحبيب : ارجع معه ، فإنَّه يوشك أن يهلكَ ، قال: فَهَلْكَ في تلك السنَّةِ⁽⁴⁹⁾، فإنَّ صحَّ النصُّ يتبينُ أنَّ والدَهُ كان طاعنًا في السنِّ ، وأنَّ حبيبًا لم يكن له أخوةٌ ذكوراً على الأقل ، ممَّا استدعى أن يعتمدَ عليه والدُهُ في تديرِ شؤون المنزل والعملِ .

أمَّا والدتهُ زينب بنت ناقش بن وهب الفهري⁽⁵⁰⁾، فقد صامت عنها المصادرُ ولم تَفْطُرْ إلا على اسمِها ونسبِها ، غير أنَّ أصحابَ التراجمِ ذكروا أنَّها كانت عمَّةً أمَّ علقمة زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب وأم ابنة عبد الرحمن الذي كان يُكْنَى

(45) بنو فهر هم إحدى بطون قريش، ينتسبون إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وهو الجد العاشر للنبي محمد ﷺ. يُعد بنو فهر من أبرز بطون قريش، حيث كانوا يشغلون مكانة رفيعة في مكة قبل الإسلام، واشتهروا بالفروسية والتجارة. أُطلق اسم "قريش" على قريش الكبرى نسبةً إلى فهر، الذي جمع قبائلها ووحد كلمتها. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 63/1.

(46) ابن عبد البر، المصدر السابق ، 320/1 .

(47) ابن عبد البر ، المصدر نفسه ، 320/1 .

(48) ابن عساكر، المصدر السابق ، 66/12 .

(49) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، 320/1 .

(50) ابن سعد ، المصدر السابق ، 187/2 .

به فقيل : ((... عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن عمر وبه كان يُكْتَبُ وأمه أم علقمة بنت علقمة بن ناقش بن وهب بن ثعلبة الفهري))⁽⁵¹⁾، مما يُعزِّزُ حقيقةً أنَّ أسرة حبيب بن مسلمة لم تكن من الأُسَرِ المعروفةِ في مكة ، ولم يكن لها نشاطاتٌ اجتماعيةٌ أو اقتصاديةٌ أو حتى سياسية كبيرة بحيث تُذكرُها المصادرُ .

ولكن حدثاً ما يلوح بالأفُقِ ويوشِكُ أن يقعَ ، سيكون من شأنه رفع مكانة هذه الأسرة ومنزلتها بين منازل المسلمين ، وهو بروز حبيب بن مسلمة على الساحة العسكرية ، قائداً وفتحاً وناشراً للإسلام ، وركناً ركيناً تتسابق الزعاماتُ السياسية على استقطابه .

(51) ابن سعد ، المصدر نفسه ، 106/4 .

المبحث الثاني: زواجه وأبنائه ومواليه

يعد الزواج عند العرب منذ القدم كان ولا يزال ركناً أساسياً في بنية المجتمع، لما يمثله من رابطة اجتماعية تضمن استمرارية القبيلة والعائلة. تميزت هذه الرابطة بأبعاد اجتماعية ودينية، حيث كان يُنظر إلى الزواج باعتباره الوسيلة الأساسية لحفظ النسل وضمان الاستقرار الاجتماعي.

وقد كان العرب قبل الإسلام يحرصون على الزواج لتحقيق أهداف متعددة، أهمها إنجاب الأولاد وكثرة الذرية. اعتبر الأولاد ثروة عظيمة، حيث كانوا يُشكلون دعامة اقتصادية وأمنية للعائلة والقبيلة. فالابن الذكر كان يُعتمد عليه في الحروب والغزوات، بينما كانت البنات رمزاً للكرامة والشرف. كان العرب يفخرون بكثرة ذريتهم، معتبرينها مصدر قوة وهيبة في مجتمع يعتمد على العصبية القبلية.

وكانت كثرة الأولاد كانت وسيلة للتباهي بين القبائل، إذ كان العرب ينظرون إلى العائلة الكبيرة على أنها دليل على القوة والنفوذ. يقول الشاعر العربي:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

هذا البيت يُظهر مدى ارتباط العرب بأولادهم واعتزازهم بهم. كما عُرف عن بعض القبائل التفاخر بعدد أفرادها في الأسواق والمجالس، معتبرين ذلك تأكيداً على سيطرتهم ومكانتهم.

كان الإنجاب أحد أهم ثمار الزواج عند العرب، فهو ليس مجرد استمرار للنسب، بل هو عامل أساسي لدعم النظام القبلي. الأبناء كانوا يُساهمون في الأعمال اليومية كالرعي والتجارة، كما كانوا جزءاً لا يتجزأ من المنظومة الحربية التي تعتمد على الشباب القوي للدفاع عن القبيلة. لذلك، كان العرب ينظرون إلى الإنجاب كاستثمار طويل الأمد يُعزز من قوة العائلة.

عندما جاء الإسلام، أقر الزواج كواجب اجتماعي وديني. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تناكحوا تناسلوا، فإني مبادٍ بكم الأمم يوم القيامة." هذا الحديث يُبرز أهمية الزواج وكثرة الذرية في الإسلام. شجّع الإسلام على تكوين أسر كبيرة قائمة على التراحم والتعاون، وأكد أن الأبناء الصالحين هم امتداد لعمل الوالدين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ... أو ولد صالح يدعو له "

فالزواج عند العرب هو أكثر من مجرد علاقة شخصية؛ إنه نظام اجتماعي متكامل، يهدف إلى ضمان الاستقرار وبقاء النسل. إنجاب الأولاد وكثرة الذرية ظلاً على مر العصور مصدر فخر وقوة، حيث يُنظر إلى الأسرة الكبيرة على أنها رمز للعز والشرف. هذا التراث ما زال يمتد إلى عصرنا الحالي، مما يُظهر أصالة القيم العربية ودورها في تعزيز التماسك الاجتماعي.

المطلب الاول : زوجاته

ما إن بَلَغَ حبيبُ مَبْلَغِ الرجالِ ، حتى سارَ على ما سارَ عليه أسلافُه ، من الزواج وتكوين أسرته الخاصة ، فخطبَ زوجته الأولى ، أمانة بنت يزيد بن جبلة بن لام بن حصن بن كعب بن عليم⁽⁵²⁾، ولم تذكر المصادرُ التاريخيةُ تفاصيلَ معينةٍ عن الخطبة أو الزواج ، ولم تذكرْ كذلك لمساتٍ من الحياةِ الأسرية ، وجُلَّ ما ذكروه اسمها التامَ ونسبها وأتمها ، أمُّ ابنه عبد الرحمن بن حبيب⁽⁵³⁾، كما لم تُذكرْ فترةُ زواجه منها على وجه التحديد ، ويُرجَّحُ ومن خلالِ محلِّ سُكناه قُربَ

(52) ابن عساکر، المصدر السابق ، 35/12 .

(53) ابن عساکر، المصدر نفسه ، 35/12 .

نهر بَرْدَى⁽⁵⁴⁾ في دمشق ، أنه تزوّج بعد فتح دمشق أي سنة 14 للهجرة⁽⁵⁵⁾، كما أنّ التاريخ يتوافق مع عُمر حبيب الذي يُقدَّرُ بحدود الخامسة أو السادسة عشرة من عُمره .

ابتنى حبيب بن مسلمة بيتاً له في غوطة دمشق⁽⁵⁶⁾ على نهر بَرْدَى فقد ذكّر أنه ، سكن دمشق وكانت داره بها إلى جانب دار بني طلحة من القبلة عند حمام طلحة وهي الدارُ المُشْرِفَةُ على نهر بردى عند طاحونة الثقفية يعني طاحونة القلعة الدار المعروفة بني كودب في الفسطين التي تنفذ إلى حمام الهاشميين⁽⁵⁷⁾، وبها كانت معيشتُهُ ، ويبدو أنّ حبيب بن مسلمة المنحدر من مكة ، لم يتقبل حياة المدينة في دمشق ومظاهرها العامة ، فقد ذكّر أنه دخل حماماً بحمص، فقال: وهذا ممّا يُتَنَعَّمُ به أهل الدنيا، لو مكثتُ فيه ساعةً لَهَلَكْتُ، ما أنا بخارجٍ منه حتى استغفرَ اللهُ تَعَالَى⁽⁵⁸⁾، ممّا يدلُّ عن ابتعاده عن ترف المدينة ومظاهرها .

(54) نهر بردى هو نهر شهير في بلاد الشام (سوريا)، ينبع من سلسلة جبال لبنان الشرقية، ويمر عبر غوطة دمشق، ليشكل شريان الحياة للمدينة. يمتد لمسافة 71 كم قبل أن يصب في بحيرة العتيبة. يُشتهر بدوره التاريخي في ازدهار دمشق منذ العصور القديمة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 429/1.

(55) ابن عساكر ، المصدر نفسه، 35/12 .

(56) غوطة دمشق : فأنك اذا كنت بدمشق ترى بعينيك على فرسخ واقلّ جبالا قرعا عن النبات والشجر وامكنة خالية عن العمارة والخضرة واكمل الزهة ما ملأ البصر وسدّ الافق. الاضطخري ، المسالك والممالك ، 239.

(57) ابن عساكر ، المصدر نفسه ، 365-364/2 .

(58) مغلطاي ، المصدر السابق ، 379/3 .

تغيّب حلقاتٌ كثيرةٌ في سلسلة حياة حبيب بن مسلمة ، مثل انتهاء علاقته بزوجه أمامة ، إذ لا يُذكرُ سببُ انتهاء علاقته بها إن كان وفاة أم طلاقاً ، ولكنهم يذكرون أمراً قد يقودنا إلى السبب في انتهاء العلاقة ، فقد ذُكرَ أنّ حبيب بن مسلمة تزوّج رملة بنت يزيد بن جبلة⁽⁵⁹⁾ ، وهي أختُ زوجته السابقة ممّا يرجّح أنّها تُوفيت ، إذ قلّمَا يُسمحُ للطلاق أن يتزوَّج من أختِ طليقتِه في ذلك الوقت وإلى الآن .

يبدو من سير الأحداث أنّ حياة حبيب مع رملة والتي كانت تُكَنَّى بـ أم عبد الله سارت بهدوءٍ ، وقد عاش معها حياةً رغدةً ملئوها الصفاء والتوافق ، وأنجبت له ولدان مسلمة بن حبيب وحبيب بن حبيب⁽⁶⁰⁾ ، وكان يصطحبها معه في غزواته وأسكنها معه عند استقراره بأرمينية الذي أصبح والياً عليها ، وقد ذُكرت المصادرُ موقفاً جمعه بها ، عكس إقدام حبيب وشجاعته وتضحيته بزهره الدنيا لقاء نعيم الآخرة .

وذلك أنّ حبيباً بلغه توجه الموريان الرومي⁽⁶¹⁾ نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والترك فكتب بذلك حبيباً إلى معاوية فكتب معاويةً به إلى عثمان فكتب عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة فأمدّه بسلمان بن ربيعة في

(59) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 440/34 .

(60) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 35/13 .

(61) الموريان كان قائداً بيزنطياً في القرن السابع الميلادي ، خلال فترة الفتوحات الإسلامية في أرمينيا. قاد جيشاً قوامه 80,000 جندي من الروم وحلفائهم الأتراك لمواجهة المسلمين بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري. في معركة حاسمة على نهر الفرات ، باغت المسلمون جيش الموريان ليلاً ، مما أدى إلى هزيمتهم وقتل الموريان نفسه. بعد المعركة ، استقر المسلمون في مدينة قالقلا ، حيث أرسل معاوية بن أبي سفيان 2,000 رجل لإسكانها. شبكة ويكيبيديا .

سته آلاف⁽⁶²⁾، وكان حبيبُ صاحبِ كيدٍ فأجمعَ على أن يبیتَ الموريانَ فسمعتُهُ امرأته أم عبدالله بنتَ يزيدِ الكلبيّةُ يُذكرُ ذلكَ فقالت له فأين موعدُك قال سرادقَ الموريانِ أو الجنّةِ ، ثم بيّتهم فقتلَ من أشرفَ له وأتى السرادقَ فوجدَ امرأتهُ قد سبقتَ وكانت أولَ امرأةٍ من العربِ ضربَ عليها سرادقُ⁽⁶³⁾، وهو من بدلهِ وشجاعتِهِ وإقدامه (رضي الله عنه).

ولكنَّ الحياةَ تأخذُ مثلما تُعطي ، إذ لم تكتملُ حياةُ البطلِ على هذا النحوِ ، فقد دنى أجلُهُ وحانتَ منيئتهُ ، وزوجتهُ رملهُ حاملٌ بولدٍ إذ تُوفِّي عنها⁽⁶⁴⁾، فأنجبتَ ابنه الثاني وأسَمتهُ حبيبًا على اسمِ أبيه ، ممّا يُوثقُ طيبَ العِلاقةِ بيئهما.

(62) الطبري ، المصدر السابق ، 2 / 620.

(63) الطبري ، المصدر نفسه ، (2 / 620)

(64) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 13 / 35.

المطلب الثاني: أبنائه ومواليه

لقد كان من ثمرة زواج الصحابي حبيب بن مسلمة الفهري ، أن رزقه الله بثلاثة أشبالٍ أخذوا سرَّ قوتهم وشجاعتهم منه ، فهذا الشبلُ من ذاك الأسدُ لم تكن عبارة تُقال جُزافاً عن أبناء حبيب بن مسلمة (رضي الله عنه) ، وكان أولُ ابنائه : عبدُ الرحمن بن حبيب وبه كان يُكْتَبَى على أصحِّ الأقوال ، وهو من زوجته الأولى أمّامة بنت يزيد الكلبية⁽⁶⁵⁾، وتُقصِرُ المصادرُ الحديثَ عن عبد الرحمن وتكتفي بذكر أبي حبيب أنه كان يُكْتَبَى به وأنه من زوجته الأولى.

أمّا مُسلمةُ بنُ حبيبٍ فهو ابنه الثاني من زوجته الثانية ، رملة بن يزيد الكلبية⁽⁶⁶⁾، وقد كان قائدَ جُنْدِ الشّامِ في العصرِ الأموي ومشاركاً في الفتوح الإسلامية ، وكان ممّن أُنْصِفَ بالدهاءِ إلى جانب الشجاعة وحُسنِ الإدارة وكثير التأسّي بسُنّةِ النبي ومنهجِهِ⁽⁶⁷⁾، وقد كان مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان⁽⁶⁸⁾

(65) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 35/12 .

(66) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 35/13 .

(67) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 21/58 .

(68) مسلمة بن عبد الملك بن مروان (685-738م) كان أميراً وقائداً عسكرياً بارزاً في الدولة الأموية. وُلد في دمشق ونشأ في بيت الخلافة، حيث تعلم القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية، وتدريب على الفروسية وفنون القتال. برز كقائد عسكري متميز، ولقب بـ"الجرادة الصفراء" لشجاعته وإقدامه. قاد مسلمة العديد من الحملات العسكرية ضد الإمبراطورية البيزنطية، وحققت فتوحات مهمة في الأناضول والقوقاز ، كان مسلمة معروفاً بتقواه وورعه، حيث كان يقوم الليل بالصلاة والعبادة. كما اشتهر بكرمه وسخائه، حيث كان يفتح بابه للمحتاجين ويقضي حوائجهم. توفي في 24 ديسمبر 738م، وترك إرثاً عسكرياً وسياسياً مهماً في تاريخ الدولة الأموية. ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، 241/5.

في غزوته للقسطنطينية ، فلما أفضى مسلمة إلى أرض الروم أتاه كتابُ ليون⁽⁶⁹⁾ يُعلمُه ولاية مَنْ يلي وأنه إن أعطاه ما يسأله قَدِمَ عليه فناصره وقواه على فتحها⁽⁷⁰⁾، وما يُريد بها إلا مكرًا يُحيكه للمسلمين ليستغلهم للوصول إلى عرش بيزنطة .

فاستشار مسلمة بن عبد الملك قاداته وأهل الرأي والمشورة ، فاجتمع رأيهم جميعا على إجابته إلى ما سأل وسكت مسلمة بن حبيب بن مسلمة⁽⁷¹⁾، فلما رأى مسلمة الأموي سكوته افتقد رأيه وكان عليه حريصاً ، فقال : أيها الشيخ ما لك لا تتكلم فقال إن رسولَ الله ذَكَرَ الرومَ فقال أصحابَ صَحْرٍ ونَحْرٍ ومَكْرٍ وهذه إحدى مُكْرِهِم فلا تُعْطِه إلا السِّيفَ⁽⁷²⁾، غيرَ أنْ أمراءَ الأجنادِ تضاحكوا من رأيه وظنّوه خَرَفًا بسبب تقدّم سنّته ، وقالوا : ما عسى أن يكونَ عند ليون مع هذه الجموع فكتب إليه مسلمة بأمانه على ما سأل فقَدِمَ في اثني عشر ألفاً من أساورته فكاتبه على مُناصحتِهِ ومُظاهرتِهِ على الروم ودلّالته على ما فيه سبب

(69) ليون بن قسطنطين: وكان يعرف بليون المرعشي نسبة إلى مرعش ، وهو عامل لصاحب القسطنطينية على الضواحي ، واتصف بالدهاء والمكر واستطاع بهما ان يكون إمبراطورا على الروم . ينظر: ابن عساکر، المصدر السابق، 25/58 .

(70) ابن عساکر، المصدر نفسه، 21/58 .

(71) ابن عساکر، المصدر نفسه، 21/58 .

(72) ابن عساکر، المصدر السابق، 21/58 .

فتح القسطنطينية⁽⁷³⁾ على بطرقة وتمليكه على جماعة الروم الذين يؤدون الجزية كبطريق جرزان وأرمينية فكاتبه على ذلك وأشهد عليه⁽⁷⁴⁾.

فما كان من ليون إلا المكر والخديعة ، إذ جمع غلال ما حول القسطنطينية وأشار الى مسلمة الأموي بالخروج إلى بعض الوجوه ومكاتبة ليون الروم ليملكوه عليهم ويخلي بينهم وبين حمل الغلال⁽⁷⁵⁾، وكان ذلك إذ تملك ليون على بيزنطة ورحل مسلمة بن عبد الملك وعندها عرف من حضر الواقعة أنهم ضيعوا رأياً عميقاً وخبرةً تكوّنت في سنين طوالٍ قضاهها مسلمة بن حبيب مع والده في جهاد الروم والاستقرار فيها .

أما عن سنة وفاته فلم تُذكر صراحةً ، إذ التزمت المصادرُ السكوتَ ، إلا أن من خلال النص السابق يبدو أن مسلمة بن حبيب كان قد هزم في غزو

(73) القسطنطينية: وهي مدينة عظيمة جلييلة لا مثيل ولها ثلاثة أبواب وجوانب. جانبان إلى البحر وجانب إلى البر مما يلي الروم. ورومية الكبرى هي قد أحاطت بها أسوار عظيمة كثيرة، ومنها رومية، وهي أقدم منها. وكان الذي بنى القسطنطينية، قسطنطين ابن ملك الروم، وذلك أنه أول من دخل في دين النصارى وأظهره وآمن ببعيسى [عليه السلام] فأنكر عليه ذلك أهل مملكته رومية، فرحل عنها وبنى القسطنطينية وسماها باسمه. ولم يزل يتنقل من الروم إليها، حتى صارت القاعدة ودار المملكة وبها كنائس عظام، ومساجد للمسلمين، وهم يحسنون إلى المسلمين الأسرى الذين عندهم، ويجرون عليهم الأرزاق. ومملكتهم مملكة عظيمة، وهم أهل بأس ونجدة، وهم يحاربون الصقالبة والإفرنج ويحاربهم أيضاً المسلمون من بلاد الشامات. وفيها طلسمات وأثار عجيبة للأوائل. ينظر: المنجم، اكام المرجان ، 117.

(74) ابن عساکر، المصدر السابق، 21/58.

(75) ابن عساکر، المصدر السابق، 21/58.

القسطنطينية الثاني ، وهو بحدود سنة 99 للهجرة في خلافة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)(76).

أما الابن الثالث له حبيب بن حبيب بن مسلمة ، فقد وُلِدَ بعدَ وفاة أبيه(77) ، إذ كانت أمُّه حاملَةً به عند وفاة والده ، فأسمته أمُّه رملَةً بنتُ يزيد الكلبية باسمه وفاءً له وحبًّا به ، وتحجُّم المصادر التاريخية عن الخوض في سيرة حبيب بن حبيب بن مسلمة ، ولا تذكُر ما يزيد عمَّا أسلفنا .

أما عن مواليه والذي عرفَ العربُ تواجدهم في بيوتهم قبلَ الإسلام ، والمولى : المملوكُ الذي يُمْنُ عليه صاحبه ، بأن يُفكَّ رقبته فيعتقه ، ويصيرُ المملوكُ بذلك مولىً لِعاتقه(78) ، وقد ذُكِرَ أنَّه كان لحبيب بن مسلمة ، مولى يُدعى رغبان أدرك أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم يهَيِّون إلى الركعتين قبل المغرب(79) ، كما ذكر مسجد ابن رغبان عبْد الرَّحْمَنِ بن رغبان مولى حبيب بن مسلمة(80).

(76) الصلابي، علي محمد محمد ، الدولة الأمويَّة عواملُ الازدهارِ وتداييعات الانهيار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : 2008) ، ط2 ، 298 .

(77) ابن عساکر، المصدر السابق ، 35/13 .

(78) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الساقى ، (بيروت : 2001) ، 366/7 .

(79) العمري، اكرم ، عصر الخلافة الراشدة ، مكتب العبيكان ، (السعودية : د.ت) 132 .

(80) الخطيب ، المصدر السابق ، 405/1 .

فضلاً عن رغبان دُكِرَ مولى آخر له اسمُه ، أبو ذكر الشبامي حي من اليمن الذي روى عن الصحابة أحاديث (81)، منها حديثاً في صدقة الفُطْرِ (82).

(81) الحاكم، ابو احمد (ت: 378هـ) الأسامي والكنى ، تحقيق: يوسف بن محمد الدخيل ،

دار الغرباء الأثرية ، (المدينة المنورة: 1994) ، ط1 ، 12/5 .

(82) الحاكم، المصدر نفسه ، 12/5 .

المبحث الثالث: آراءه الفقهية

على الرغم من اشتهار الصحابي حبيب بن مسلمة رضي الله عنه بالفتوح وقيادة الحملات ولكنه كان له آراء فقهية معتبرة ولا سيما في فقه الجهاد، ذكرتها كتب الفقه ونسبتها له ومن تلك الآراء.

المطلب الأول: آراءه في صلاة الجنازة

تمثل صلاة الجنازة مسألة من مهمة من مسائل الدفن عند المسلمين وقد اختلف المسلمون في عدد التكبيرات في تلك الصلاة على آراء:

المسألة الأولى: عدد التكبيرات في صلاة الجنازة.

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عدد التكبيرات أربع، وهذا مذهب الإمام حبيب بن مسلمة لما روى الضحاك بن قيس عن حبيب بن مسلمة (83).

وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت والحسن بن علي وابن أبي أوفى والبراء بن عازب وأبي هريرة ومحمد بن الحنفية (84) وعطاء والثوري والأوزاعي وإسحاق وإليه ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة (85)، واستدلوا على ذلك: ما روي عن أبي هريرة له أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات (86).

(83) الشيباني، شرح معاني الآثار، 501/1.

(84) محمد بن الحنفية محمد بن علي بن ابي طالب من زوجته الحنفية التي اخذها من سبي بني حنيفة كان شجاعا تقيا مطيعا لوالده واخويه. الاصفهاني، حلية الاولياء، 174/3.

(85) الحنفي، بدائع الصنائع، 780/2.

(86) البخاري، صحيح، 190/2؛ وينظر: حميد تركي فليح، الصحابي حبيب بن مسلمة واره الفقهية، 181.

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنتهى رسول الله ع إلى قبر رطب فصلي عليه وصفو خلفه وكبر أربعاً⁽⁸⁷⁾.

ما روي عن أبي أمامة الله أنه قال: السنة في الصلاة على الجنابة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأَم القرآن ثم يكبر ثلاثاً والتسليم عند الآخرة⁽⁸⁸⁾.

ما روي عن عبد الله بن أبي أوفى الله أنه قال إن رسول الله كان يكبر أربعاً⁽⁸⁹⁾.

إجماع الأمة أجمعت الأمة على أن التكبير أربع ونقل الاجماع النووي⁽⁹⁰⁾.

القول الثاني: التكبير خمس في صلاة الجنابة وهو مذهب الإمامية والزيدية، وقول ابن مسعود وزيد بن أرقم وحذيفة بن اليمان⁽⁹¹⁾.

واستدلوا على ذلك :

ما روي عن ابن أبي ليلى أن زيد بن أرقم له صلى على جنازة فكبر عليها خمساً وقال كبرها رسول الله⁽⁹²⁾.

ما روي عن جعفر الصادق أنه قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يكبر خمساً⁽⁹³⁾.

(87) ابو داود ، سنن ، 227/2؛ وينظر : حميد تركي فليح ، الصحابي حبيب بن مسلمة وارهه الفقهية ، 181 .

(88) النسائي ، سنن ، 176/2؛ وينظر : حميد تركي فليح ، الصحابي حبيب بن مسلمة وارهه الفقهية ، 181 .

(89) البيهقي ، سنن ، 6828/4 .

(90) النووي ، المجموع ، 230/5 .

(91) النووي ، المصدر نفسه ، 231/5 .

(92) من لا يحضره الفقيه ، 51/1 .

(93) ابو يعلى ، المطالب العالية ، 216/1 .

ما روي عن أبي ذر الله أن رسول الله كبر على جنازة خمساً⁽⁹⁴⁾.

القول الثالث: التكبير خمس أو أربع وهو مذهب الظاهرية.

واستدلوا على ذلك:

بما روي عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى أنه قال: كان زيد بن أرقم يكبر على جنازتنا

أربعاً وأنه كبر على جنازة خمساً فسألته فقال كان رسول الله يكبرها «⁽⁹⁵⁾.

والذي يبدو لي رجحان القول الأول وذلك لما يأتي:

1. لقوة ما استدلو به من الأدلة.

لإجماع الأمة على ذلك.

(94) ابو يعلى ، المطالب العالية ، 216/1.

(95) النسائي ، سنن ، 72/3.

المطلب الثاني: نفل الإمام

أختلف الفقهاء في نفل الامام على اراء

الأول: مذهب الإمام حبيب أن الإمام ومن استخلفه الإمام ينفل وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم «في بدأته الربع بعد الخمس، وفي رجعتة الثلث بعد الخمس»⁽⁹⁶⁾ وبهذا قال الحسن والأوزاعي واستدلوا برواية الإمام حبيب قال⁽⁹⁷⁾ شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل الربع في البداءة والثلث في الرجعة (٦٠).

الثاني : أن النفل من خصائص الرسول الله وليس لأحد أن يعطي لأحد من الغنيمة أكثر من سهمه روى الطبري بسنده عن سعيد بن المسيب أنه أرسل غلامه إلى قوم سألوه عن شيء، فقال : إنكم أرسلتم إلى تسألوني عن الأنفال، فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁹⁸⁾ وروي ذلك عن عمرو بن شعيب وحجتهم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽⁹⁹⁾.
الثالث : إن للإمام أن ينقل عن خمس الخمس الذي كان للرسول عليه السلام ثم جعل في مصالح المسلمين روي ذلك عن مالك عن أبي الزناد عن سعيد بن المسيب، أنه قال: «كان الناس يعطون النقل من الخمس».

(96) ابي داود ، سنن ، 33/3؛ وينظر : حميد تركي فليح ، الصحابي حبيب بن مسلمة واره الفقهية ، 182 .

(97) ابن قدامة، المغني ، 408/10 ؛ وينظر : حميد تركي فليح ، الصحابي حبيب بن مسلمة واره الفقهية ، 182 .

(98) حميد تركي فليح ، الصحابي حبيب بن مسلمة واره الفقهية ، 182 .

(99) سورة الانفال، الآية، 1.

وبذلك قال الشافعي في الصحيح من ذهبه وهو رواية عن مالك (100).
فقد روى عبد الرزاق في سنده عن ابن المسيب قال لا نفل في غنائم المسلمين إلا
في خمس الخمس (101).
والخمس هنا خمس الخمس الذي جعل الله لرسوله، يتصرف فيه كما يتصرف
في ماله يضعه حيث أراه الله. والغنيمة تقسم إلى خمسة أخماس أربعة للغانمين
بالإجماع والخمس الخامس يقسم إلى خمسة أسهم بين الله مصارفها في قوله
تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ**
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ(102) فلا يعطى النفل من أربعة أخماس
الغنيمة لأنها حق الغانمين، فلا يعطى شيئاً غير أذنهم، وكذلك الأخماس الأربعة
من الخمس الباقي.
إذا فحسب الخمس خول الله تعالى نبيه الله التصرف فيه وانتقل حق الإشراف
إلى الأئمة من بعده (103).

(100) الشافعي ، الأم ، 68/4.

(101) الصنعاني ، مصنف ، 192/5.

(102) سورة الانفال ، الآية ، 41.

(103) الشافعي ، الأم ، 68/4.

المطلب الثالث: غنائم الحرب

فيها ثلاثة أقوال:

الأول: ذهب حبيب ومكحول رضي الله عنهم أن السلب مغنم وفيه الخمس وهو مروي

عن ابن عباس له لقوله تعالى: **وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ** وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ **إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (104).

الثاني: قال المالكية: وهو رواية عن أحمد، اختارها أبو بكر من الحنابلة أن القاتل لا يستحق السلب إلا أن يقول له الإمام ذلك (105).

ولا يجوز أن يقول له الإمام ذلك، إلا بعد انقضاء الحرب، حتى لا يشوش نيته، ولا يصرفها لقتال الدنيا، لأن السلب عندهم من جملة النفل فيعطيه الإمام للمصلحة حسب اجتهاده. واستدلوا بحديث عوف بن مالك أن مددياً اتبعهم فقتل علجاً، فأخذ خالد بعض سلبه، وأعطاه بعضه فذكر ذلك لرسول الله ع فقال لا ترده عليه يا خالد (106).

واستدلوا أيضاً بما روي عن شبر بن علقمة قال بارزت رجلاً يوم القادسية فقتله، وأخذت سلبه، فأتيت به سعداً، فخطب سعد أصحابه وقال أن هذا سلب شبر خير من اثني عشر ألفاً وأنا نقلناه إياه (107).

(104) سورة الأنفال ، الآية : 41.

(105) بن قدامة ، الكافي في فقه الإمام أحمد ، 4/293.

(106) النووي ، شرح النووي على مسلم ، 12/64.

(107) النووي ، شرح النووي على مسلم ، 12/88.

كان يقول: قبل أحرار الغنيمة، وقبل أن تضع الحرب أوزارها من قتل قتلاً فله سلبه وإلا كان السلب من جملة الغنيمة بين الغانمين وقد قال الطحاوي من الحنفية. أن السلب موكول للإمام فيرى فيه رأيه واستدلوا برواية عوف بن مالك له أن مددياً اتبعهم فقتل علجاً، فأخذ خالد بعض سلبه، وأعطاه بعضه فذكر ذلك لرسول الله ع فقال لا ترده عليه يا خالد⁽¹⁰⁸⁾.

القول الرابع: ذهب بعض الفقهاء كالأوزاعي، والليث، وإسحاق، وأبو عبيد، وأبو ثور، والشافعية والحنابلة أن المسلم إذا قتل مشركاً في المعركة مقبلاً على القتال فله سلبه⁽¹⁰⁹⁾: قال ذلك الإمام أو لم يقل لقوله من قتل كافراً فله سلبه ولقول عبد الله بن جحش «اللهم أرزقني رجلاً شديداً حتى أقتله وأخذ سلبه.

(108) الشنقيطي، اضواء البيان، 2/86.

(109) حميد تركي فليح، المرجع نفسه، 183.

المطلب الرابع: ما يعطى للمرأة من الغنيمة

وقد اختلف العلماء على أقوال:

القول الأول: إعطاء المرأة سهماً وهو مذهب الإمام حبيب الرواية الجوزجاني بإسناده عن الوضين بن عطاء قال حدثني جدي قالت كنت مع حبيب بن مسلمة وكان يسهم لأمهات الأولاد، لما في بطونهن وبهذا قال الأوزاعي لما روى حشر بن زياد عن جدته أنها حضرت فتح خيبر قالت فأسهم لنا رسول الله عليه الصلاة والسلام كما أسهم للرجال»⁽¹¹⁰⁾.

القول الثاني: ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية في قول مقابل للمشهور وسعيد بن المسيب والثوري والليث وإسحاق بأن لما في بطونهن وبهذا قال الأوزاعي لما روى حشر بن زياد عن جدته أنها حضرت فتح خيبر قالت فأسهم لنا رسول الله ع كما أسهم للرجال»⁽¹¹¹⁾.

القول الثاني: ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية في قول مقابل للمشهور وسعيد بن المسيب والثوري والليث وإسحاق بأن المرأة لا يسهم لها بسهم كامل وإنما شيئاً دون السهم⁽¹¹²⁾.

لما ورد أن نجدة بن عامر الحروري سأل ابن عباس رضي الله عنهما «هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ فأجابه: قد كان يغزو بهنَّ فيداوين الجرحي ويحذين⁽¹¹³⁾ من الغنيمة، وأما بسهم فلم يضرب لهنَّ⁽¹¹⁴⁾

(110) حميد تركي فليح ، المرجع نفسه ، 183 .

(111) ابن حزم ، المحلى ، 334/7 .

(112) ابن حزم ، المصدر نفسه ، 330/7 .

(113) النهاية ، 221/1 .

(114) النووي ، شرح النووي على مسلم ، 190/12 .

ولأن المرأة ليست من أهل القتال فلم يسهم لها كالصبي وأما المالكية في قولهم المشهور بأنه كما لا يسهم للمرأة لا يرضخ⁽¹¹⁵⁾ لها ولو قاتلت لهنَّ ولأن المرأة ليست من أهل القتال فلم يسهم لها كالصبي وأما المالكية في قولهم المشهور بأنه كما لا يسهم للمرأة لا يرضخ لها ولو قاتلت⁽¹¹⁶⁾.

(115) الرضخ العطية القليلة. ابن منظور ، 19/3.

(116) الموسوعة الكويتية ، 319/30.

الفصل الرابع: جهوده في الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين

ما إن استقرت أوضاع المسلمين في الجزيرة العربية ، وثبتت الحكم الإسلامي فيها ، حتى شرع الخليفة أبو بكر الصديق بإرسال الجيوش تلو الجيوش لفتح البلدان وإيصال رسالة السماء إليهم ، وقد استلزم هذا الأمر وجود العديد من القادة الموصوفين بالشجاعة والإقدام والتدبير والتخطيط ، بسبب سعة البلدان المراد تحريرها أولاً ، واختلاف طبيعة تلك المجتمعات ما بين العناد والمسايرة ثانياً .

وقد كان من أولئك القادة الشباب البارزين ، حبيب بن مسلمة الفهري ، الذي سطع نجمه في الفتوحات الإسلامية ، وما لبث أن غزا أرض الروم واثخن فيهم ، وثبت الإسلام في مدنيهم .

وقد قسّم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام ، تناول الأول : جهوده في الفتوحات في عصر أبي بكر الصديق ، أما الثاني فتحدث عن إسهاماته في الفتوحات في عصر عمر بن الخطاب ، فيما كرس الثالث للحديث عن دوره في الفتوحات في عصر عثمان بن عفان .

المبحث الأول : دوره في الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر

الصديق

لقد كان من نتائج استمرار حروب الفتوحات الإسلامية، واتّساع رُقْعَتِهَا إلى ازدياد الطلب إلى القادة والجنود على حدّ سواء ، ممّا وقّرَ الفرصة للقادة الشباب لِشَقِّ طَرِيقِهِمْ لاعتلاءِ مَنْصَةِ الْفُتُوحَاتِ ، وأخذِ دورهم الحيوي في فَتْحِ الْبُلْدَانِ وَنَشْرِ الدعوة الإسلامية .

وتتضاربُ الآراءُ حولَ بدءِ اشتراكِ حبيبِ بنِ مسلمة في الحروب ، فقد ذكّر الواقدي قوله : ((والذي عند أصحابنا في روايتنا: أنّ رسولَ الله قُبِضَ وحبيب بن مسلمة ابن اثنتي عشرة سنة. وأنّه لم يغرُ معه شيئاً وفي رواية غير الواقدي : أنّه قد غزا مع رسول الله وحفظَ عنه أحاديث))⁽¹¹⁷⁾ ، ومنها ما أنكرتُ هذا الأمرَ ، وقالت : إنّ أولَ غزواته كانت في عهدِ أبي بكر الصديق في اليرموك⁽¹¹⁸⁾.

ومن خلال استقراء النّصّين السابقين يبدو أن النّصّ الثاني هو الأرجح بسبب ، أنّ كُتَابَ الْمَغَازِي لم يذكروا عن جهادِ حبيب بن مسلمة مع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً وقد مثل الواقدي رأيهم في النص السابق ، كما أنّه لم يذكّر أنّه شارك بحروب الرّدة من سنة (11هـ - 13هـ) في زمن أبي بكر الصديق ، وهي من الفترات الصّعبة في حياة المسلمين ومستقبل الدعوة الإسلامية ، إذ أنّ العرب المرتدّة قد رمت المسلمين عن قوس واحدة ، واحتاج المسلمون حينها لِكُلِّ سيفٍ مُمكنٍ أن يُشهرَ للدفع عن الدين والنفس والأهل ، ومع هذا لم أجد له ذكراً فيها ، فإنّ صحّ هذا الترجيح فهو يُعطى من بابٍ أولى أنّه لم يشارك النبيّ غزواته ،

(117) ابن سعد، المصدر السابق، 540/6 .

(118) ابن عساکر، المصدر السابق ، 81/12 .

وأخيراً أنّ مشاركته مع جيش خالدٍ في اليرموك يتناسَبُ مع عُمره الذي بلغ خمسةَ عشرَ سنةً ، وهي السنةُ التي كان النبيُّ يسمُحُ للشباب المشاركة في الحروب⁽¹¹⁹⁾.

وقد كانت مشاركته الأولى في اليرموك مشاركةً ميمونةً، إذ كانت ذا أثرٍ كبيرٍ على العالم الإسلامي بشكل عامٍّ وعليه بشكلٍ خاصٍّ ، وكيفَ لا ، فقد كانت معركةُ اليرموك الواقعة التي أذلت الرومَ وفتحت الطريقَ للمزيد من الفتوحات ، حتى ضربت فتوحات المسلمين الكثيرَ من ولايات الروم ، بل أنّ المسلمين عبروا البحرَ وفتحو الأندلسَ ووصلوا إلى جنوب فرنسا .

أمّا تأثيرها عليه فقد تولّى قيادة أول جيش له في تاريخه الحربي الزاخر بالإنجازات والفتوحات ، بعد أن كان يغيّرُ على بعض القرى⁽¹²⁰⁾ ، وذلك قبل اليرموك وفق الترتيب التاريخي للأحداث ، أمّا في اليرموك فقد قسّم القائد العامُّ لجيوش الشام خالدُ بن الوليد أتباعه في اليرموك إلى ستةٍ وثلاثين كردوساً⁽¹²¹⁾، وكان حبيبُ بن مسلمة أميراً على أحدٍ كراديسه⁽¹²²⁾، ممّا يُعطي دلالةً واضحةً على بروز مسلمة بن حبيب كأحد القادة الستة والثلاثين في الشام ، وهو لا يزال شاباً حديث السنّ يتسامى منزلةً على المستوى العسكري مع أبطال الإسلام كعكرمة وشرحبيّل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان والذين كانوا قادة كراديس أيضاً في ذات المعركة ، وهذا ممّا أعطى هذا الشاب قيمةً عسكرية كبيرة ، ستكون إحدى أدوات الفتح الإسلامي مُستقبلاً .

(119) ابن سعد ، المصدر السابق ، 106/4 .

(120) مغلطاي ، المصدر السابق ، 379/3 .

(121) الطبري ، المصدر السابق ، 336/2 .

(122) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 81/12 .

المبحث الثاني : إسهاماته بالفتوح الاسلامية في عهد عمر بن

الخطاب

لقد كان أسلوب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أسلوب الصديق ، كما أن عصر الفاروق وظروفه الراهنة آنذاك تختلف عن عصر الصديق ، فقد عُرفَ عن عمر حرصه الشديد على المسلمين ، واشتراطه صفاتٍ عديدةً فيمن يولّيه ولايةً منها : الثقة والشجاعة والتجربة وعدم المخاطرة بأرواح المسلمين (123)، وتميز بأسلوب فريد في إدارة العمليات العسكرية والفتوحات الإسلامية خلال فترة خلافته (13-23 هـ / 634-644 م). اعتمد على التخطيط الاستراتيجي الدقيق، حيث كان يدرس الأوضاع السياسية والعسكرية قبل اتخاذ أي قرار. كما أنشأ نظام الدواوين، مثل ديوان الجند، لتنظيم شؤون الجيش وتسجيل أسمائهم ومراتبهم، مما ساهم في تعزيز الكفاءة والجاهزية القتالية.

بالإضافة إلى ذلك، حرص عمر على اختيار القادة الأكفاء وتوزيع المهام بفعالية، مما أدى إلى تحقيق انتصارات حاسمة في معارك مثل القادسية واليرموك. كان يتابع سير العمليات العسكرية عن كثب، ويوجه القادة بالمشورة والتوجيهات اللازمة. كما اهتم بتأمين خطوط الإمداد والتموين، وضمان استقرار المناطق المفتوحة من خلال تطوير البنية التحتية وإقامة المعسكرات والحصون.

(123) الصلابي ، علي بن محمد ، فصل الخطاب في سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت : د. ت) ، 346 .

تميزت قيادته بالعدل والحزم، حيث كان يضع مصلحة المسلمين فوق كل اعتبار، مما ساهم في توسيع رقعة الدولة الإسلامية وتثبيت أركانها. تجلّت عبقريته العسكرية في حملاته المنظمة التي أخضعت الفرس والبيزنطيين، وفتحت كامل إمبراطورياتهم خلال فترة وجيزة.

ولم يكن عمرُ بن الخطاب قد رأى آنذاك صنيع حبيب بن مسلمة في المعارك، بلّ أنّه لم يره شخصياً، أنّما كان يسمع عن أخباره في الصوائف فيُسَرُّ منها⁽¹²⁴⁾، في إحدى المواقف قديم حبيبٍ حاجّاً، فسَلَّم عليه، فقال له عمر: إنّك لفي قناة رجل، قال: إنّّي والله وفي سنانة قال عمرُ: افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء، قال: ففتحوها له، فعدل عن الأموال وأخذ السلاح⁽¹²⁵⁾، وهنا استقرَّ رأيُ عمرَ بن الخطاب في إمكانية الاعتماد عليه في المهام الصعبة.

تُشيرُ المصادرُ أن حبيبَ بن مسلمة كان مشاركاً في فتح قنسرين مع أبي عبيدة بن الجراح، ويُروى أنّه وجّهه إلى أحد الحصون قُرب قرية تعرف ببطنان حبيب⁽¹²⁶⁾، حيثُ حملتُ اسمَ الفاتح حبيب بن مسلمة الفهري⁽¹²⁷⁾، كما تُشير

(124) الذهبي، المصدر السابق، 3/188.

(125) الذهبي، المصدر السابق، 3/188.

(126) بَطْنَانُ: بالضم ثم السكون، ونونان بينهما ألف، وبطنان الأودية: المواضع التي يستريض فيها الماء ماء السّيل فيكرم نباتها، واحدها بطن، عن أبي منصور، وهو اسم واد بين منبج وحلب، بينه وبين كل واحد من البلدين مرحلة خفيفة، فيه أنهار جارية وقرى متصلة، قصبها بزاعة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/447.

(127) ابن العديم: عمر بن احمد العقيلي (ت660هـ)، بغية الطلب في إخبار حلب، دار الفكر، (دمشق: 1987)، 1/271.

بعض المصادر أنه فتح أذربيجان سنة 22 هـ (128) ، وتُخالفها في هذا مصدرٌ أخرى وتجعل الفتح للمغيرة بن شعبة(129) ، ولعلَّ حبيباً قد اشترك مع المغيرة بن شعبة في فتحها أو كان أحدَ قادته .

ويبدو أنَّ جهودَ حبيب بن مسلمة قد لفتت أنظارَ كبارِ قادةِ الشام أمثالَ أبي عبيدة عامر بن الجراح ، الذي كان يستعينُ به في حروبه ومن ذلك فتح قاصرين(130) التي أبلى بها بلاءً حسناً (131) ، فلمَّا نزلَ المسلمون بها صالحهم أهلها على الجزيرة والجلاء فجلَى أكثرهم إلى بلادِ الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج(132).

فلمَّا شارفت فتوح الشام على الاكتمال ، قرّر الفاروق عبور أرض الشام إلى داخل أراضي الروم وفتح أرمينيا والجبال ، وقبل ذلك أراد تأمينَ الطريق إليها

(128)) الذهبي ، شمس الدين محمد الذهبي (ت : 748هـ)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، (بيروت: 2003)، 4 ط ، 3/ 451 .
(129)) البلاذري ، المصدر السابق ، 137 .

(130)) قاصرين : بلدة في الشام بين حلب والرقعة على ضفة الفرات الغربية وكانت مع بالس لآخوين من اشرف الروم . ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، 1/ 328 .

(131)) البلاذري ، المصدر السابق ، 137 .

(132)) البلاذري ، المصدر نفسه ، 137 .

ففتح حبيب بن مسلمة حصنَ الحدث⁽¹³³⁾ وزبطرة⁽¹³⁴⁾ فقد ذُكِرَ ((وكانت زبطرة حصنا قديما روميا ففتح مع حصن الحدث القديم فتحه حبيب بن مسلمة الفهري زمنَ عمر))⁽¹³⁵⁾.

وتوجّه حبيب بن مسلمة بعد ذلك الى تفليس⁽¹³⁶⁾ وناجزَ أهلها ثم استجابوا واعتقدوا من حبيب وكتبَ بينه وبينهم كتابا⁽¹³⁷⁾، وقد تولى تنفيذَ

(133) حصن الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعا حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيديب، كان حصن الحدث مما فتح في أيام عمر، رضي الله عنه، فتحه حبيب بن مسلمة الفهري من قبل عياض بن غنم، وكان معاوية يتعاهده بعد ذلك، وكان الحسن بن قحطبة قد غزا الثغور وأشج العدو، فلما قدم على المهدي أخبره بما في بناء طرسوس والمصيصة من المصلحة للمسلمين، فأمر ببناء ذلك وأن يكون بالحدث، وذلك في سنة 162. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 227/2.

(134) زبطرة : مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلد الروم، سميت بزبطرة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، عن الكلبي، وطول زبطرة في الإقليم الخامس من جهة المغرب . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 130/3 .

(135) البلاذري، المصدر نفسه، 196 .

(136) تفليس : بلدة قديمة لها تاريخ تقع في اعالي نهر الكر الى الغرب من باب الابوب، وتقع حاليا في جمهورية جورجيا وتمثل عاصمتها، وهي مدينة ذات زروع واشجار. حميدي، فتحي سالم، مدينة تفليس دراسة تاريخية من الفتح الاسلامي وحتى سنة 515 هـ/1121م، بحث منشور في مجلة ابحات التربية الاساسية المجلد 8، العدد 1، 2008م (كلية التربية - جامعة الموصل)، 223-222 .

(137) الطبري، المصدر السابق، 544/2 .

الاتفاق عبدُ الرحمن بن جزء السلمي وهو من أهل القرآن والعلم⁽¹³⁸⁾، وقد جاء في نصّ الاتفاق :

((بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفلّيس من جرزان أرض الهرمز بالأمان على أنفسكم وصوامعكم وبيعكم وصلواتكم على الإقرار بصغارِ الجزية على كلّ أهل بيتٍ دينار واف ولنا نُصْحُكُمْ ونَصْرُكُمْ على عدوّ الله وعدوّنا وقرى المجتاز ليلة من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرايهم وهداية الطريق في غير ما يضرّ فيه بأحدٍ منكم فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فإخواننا في الدين وموالينا ومن تولى عن الله ورسله وكُتبه وجزيه فقد آذناكم بحربٍ على سواء إنّ الله لا يُحبُّ الخائنين شهد عبد الرحمن بن خالد والحجاج وعياض وكتبَ رباح وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا وكفى بالله شهيداً))⁽¹³⁹⁾. وبهذا فُتِحَتْ مدينةُ تفلّيس صلحاً على يد هذا القائد الجليل.

ولكنّ هذه المدن المفتوحة البعيدة عن حدود الجزيرة العربية ، والمتاخمة مع إمبراطورية الروم البيزنطيين ، لم تكن تنصحُ للمسلمين في أغلب الأحيان ، وإن رأَتْ فرصةً نقضتْ العهدَ وثارَتْ على المسلمين ، ومن ذلك مدينة انطاكية⁽¹⁴⁰⁾ التي نقضتْ العهدَ وغدرتْ بالمسلمين ، فوجّه إليها أبو عبيدة عامر بن الجراح من فتحها ثمّ ولّاهها حبيب بن مسلمة⁽¹⁴¹⁾، الذي أثبتتْ جداره في حرب

(138) الطبري ، المصدر نفسه ، 2 / 544 .

(139) الطبري ، المصدر نفسه ، (2 / 544) .

(140) انطاكية : مدينة عظيمة تأسست سنة (300 ق.م) وتقع في تركيا حالياً وتحديداً في جنوب وسط تركيا والذي يعرف بلواء الاسكندرون ، وتقع بالقرب من مصب نهر العاصي

على الحدود السورية في الوقت الحاضر . ينظر : [HTTPS\\MAWDOO3.COM](https://MAWDOO3.COM)

(141) البلاذري ، المصدر السابق ، 184 .

الروم ، ((فغزا الجرجومة⁽¹⁴²⁾) فلم يُقاتلُ أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين، وعبونا ومسالح في جبل اللكام وأن لا يؤخذوا بالجزية وأن ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حربا في مغازيهم ودخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وغيرهم وأهل القرى في هذا الصلح فسُموا الرواديف لأتهم تلّوهم وليسوا منهم))⁽¹⁴³⁾.

غير أن هذه المناطق القليقة والتي كانت واقعةً بين الحدود الفاصلة بين الدولة الإسلامية زمن الراشدين والامبراطورية البيزنطية، لم تكن تنصح للمسلمين على طول الخط كما سبق وأسلفنا، وما أن وجدت فرصة حتى غدرت ونقضت العهد، وكان للدولة البيزنطية أثر كبير حيث استخدمتهم لإثارة القلاقل والاضطرابات على الحدود مع الدولة الإسلامية، وكان وجود القادة الأشداء الذين يُحسنون التعامل مع هذه الحالة كحبيب بن مسلمة الفهري من الضرورات الملحة.

(142) الجرجومة: مدينة يقال لأهلها الجراجمة، تقع على جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بيّاس وبوقة قرب أنطاكية، والجراجمة جبل كان أمرهم في أيام استيلاء الروم أن خافوا على أنفسهم فلم يتنبّه المسلمون لهم، وولى أبو عبيدة أنطاكية حبيب بن مسلمة الفهري فغزا الجرجومة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/123.

(143) البلاذري، المصدر نفسه، 184.

المبحث الثالث: جهوده في الفتوحات والإدارة في عهد الخليفة

عثمان بن عفان

يُعدُّ النجاحُ من أهمِّ مؤشّراتِ الاستمرارِ في العملِ، بكافّةِ تخصّصاته: العسكرية والإدارية والاقتصادية وغيرها من مفاصلِ الحياةِ المختلفةِ، ولذا كان حبيب بن مسلمة في مرصدِ أنظارِ الخلفاءِ الراشدينِ لما وَجَدُوا منه من مهنية وشجاعة وحُسنِ إدارةٍ، وقد كانت سياسةُ عمرَ بن الخطاب ومن بعده الخليفة عثمان بن عفان، حلقةً من سلسلة الاعتماد على هذا الشاب الواعدِ وأمثاله من القادة المسلمين في جبهة الروم.

أشارت المصادرُ التاريخيةُ أنّ أولَ مُهمّةٍ نَفَّذَهَا حبيب بن مسلمة في زمن عثمان، كانت سنة 24هـ إذ جاشت الرومُ بجيوشٍ كبيرةٍ على المسلمين فطلبَ الناسُ العونَ والنُجدةَ، فَكَتَبَ الخليفةُ إلى معاوية بن أبي سفيان أن يسيرَ حبيب بن مسلمة بأهل الشام وطلب أن يمدّه برجلٍ من العراق ممّن يرضى شجاعته وأقدامه وإسلامه مع عشرة آلاف مقاتلٍ وذلك لِكثرةِ الروم⁽¹⁴⁴⁾.

وقد وقع الاختيارُ على رجلٍ موصوفٍ بالشجاعةِ والإقدامِ والنُجدة وهو سلمان بن ربيعة الباهلي⁽¹⁴⁵⁾ إذ خرج مع ثمانية آلاف رجلٍ من أهل الكوفة

(144) الطبري، المصدر السابق 2/ 620.

(145) سلمان بن ربيعة الباهلي: صحابي جليل من صغار الصحابة اثبت قدرة عسكرية كبيرة في حروب المرتدين والفتوحات الإسلامية في القادسية ونهاوند وفتوحات القوقاز واذربيجان التي مات بها شهيداً مقبلاً غير مدبر. محسن، نكتل يوسف، مجلة سعد بن معاذ، العدد 4، ص 21.

فساروا إلى بلاد الروم⁽¹⁴⁶⁾ ، ويبدو أنّ حبيب بن مسلمة أرادَ مفاجئةَ الروم والهجومَ عليهم ليلاً قبل وصول أهل الكوفة ، بسبب العدد الكبير الذي حشده الروم فقد ذُكِرَ ، ((أنّ الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والترك))⁽¹⁴⁷⁾ ، وقد عُرِفَ عن حبيب بن مسلمة أنّه كان صاحبَ مَكِيدَةٍ في المعارك ، فأراد أن يُفاجئهم فيُحرزَ منهم غرّةً ولم ينتظر مددَ أهل العراق .

وهنا تُثبِتُ المصادرُ موقفين لحبيب بن مسلمة ، دلّ الأول على حُبِّهِ لِنُصْرَةِ الدين وأهله وتفضيله للحياة الأخرى على الحياة الدنيا ، فبينما يَعِدُّ حبيب جيشه للهجوم سَمِعَتْهُ زوجته أمُّ عبد الله وكانت قد تواعدت لِتَلْقَاهُ ، فقالت : ((فَأَيْنَ موعِدُكَ؟ قال سرادق الموريان أو الجتّة ...))⁽¹⁴⁸⁾ ، وهذا موقف من مواقف الفداء والتضحية وشراء الآخرة بالدنيا بأبهى صورها ، وكان له ما أراد إذ ، بَيْتَهُمْ فَقْتِلَ من أشرف له وأتى السرادق فوجدَ امرأته قد سبقت وكانت أول امرأة من العرب ضُربَ عليها سرادق⁽¹⁴⁹⁾ .

أمّا الموقف الثاني فيتمثلُ في سماعه للمشورة وعدم استبداده برأيه ، حتى وأن صدرت هذه المشورة من جندي بسيط في جيشه ، وهذا ما يُفسِّرُ نجاحه في اكتساح مُدُنِ الروم الواحدة تلو الأخرى ، فقد ذُكِرَ أنّه كان يتجوّل في عسكره قُبَيْلَ لقاءه مع الموريان إذ سَمِعَ أحدَ جنوده وهو يتحدّثُ ويقول لأصحابه: ((لو كنتُ ممّن يسمعُ حبيباً مشورته لأشّرتُ عليه بأمرٍ ، يجعلُ الله لنا

(146) الطبري، المصدر نفسه، 620 / 2 .

(147) الطبري، المصدر نفسه، 620 / 2 .

(148) الطبري، المصدر نفسه، 620 / 2 .

(149) الطبري، المصدر السابق، 620 / 2 .

ولدينه نصرأ وفرجأ إن شاء الله ، فاستمع حبيب لقوله فقال أصحابه: وما مشورتك؟ قال: كنت مشيراً عليه يُنادي في الخيول يتقدمها، ثم يرتحل بعسكره يتبع خيله فتوافهم الخيل في جوف الليل، وينشب القتال، ويأتهم حبيب بسواد عسكره مع الفجر، فيظنون أن المدد قد جاءهم فيرعبهم الله، فيهمزهم بالرعب فانصرف ونادى في الخيول فوجهها في ليلة مقمرة ((¹⁵⁰) ، ونفذت الخطأ وكان النصر من الله ، مما يعطي دلالة واضحة على جمع حبيب أدوات النجاح بيده ، ومن ضمن هذه الأدوات سماعه للمشورة .

وبهذه الشجاعة والدهاء استطاع حبيب أن يرد كيد الروم عن المسلمين ، وأن يتبعهم إلى أراضيهم فيحرر فتحاً جديداً في أرضهم على جيش يفوق جيشه ، أضعافاً كثيرة .

ويبدو من سير الأحداث رسوخ حبيب بن مسلمة في أرض الروم ، وهو ما يبرر غزاته لعمق الروم سنة 28 هـ (¹⁵¹) ، إذ حملت هذه الغزوة استعراض القوة من جهة ، وجس النبض الوقوف على مقدار قوة العدو وإمكانية التوسع في الفتوحات فيها من جهة ثانية .

وبعد أن تبين له إمكانية التوسع والمضي في الفتوحات الإسلامية في بلاد الروم ، قرّر الخليفة عثمان بعد التشاور مع أهل الحل والعقد الشروع ، بفتح أرمينية سنة 31 هـ بغية الاستقرار فيها (¹⁵²) ، ويُذكر أن أرمينية كانت أرضاً

(150) ابن عساکر ، المصدر السابق ، 75/12 .

(151) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي الجزري (630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق:

أبي الفدي عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1987) ط3، 22/1.

(152) الطبري ، المصدر السابق ، 620/2 .

واسعةً يقعُ قسماً منها في أرمينيا الحالية والقسم الآخر في تركيا فقد ذُكِرَ ، ((كانت شمشاط وقيقلا وخالاط وأرجيش وباجنيس تُدعى أرمينية الرابعة: وكانت كورة البسفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند تُدعى أرمينية الثالثة وكانت جرزان تُدعى أرمينية الثانية، وكانت السيسجان وأران تُدعى أرمينية الأولى))⁽¹⁵³⁾، ولذا فقد كان فتحها يتطلب وضع الخطط والتجهيز لحربٍ طويلة الأمدٍ وتوفيرِ المؤن الكافية .

لقد كانت شمشاط أو أرمينية الرابعة كما يُسميها أهلُ التاريخ ، أولَ أهدافِ الخلافةِ في المدينة حيثُ كتَبَ الخليفةُ عثمانُ إلى معاوية بغزوها فوجّه معاوية حبيب بن مسلمة وصفوان بن المعطل لفتحها⁽¹⁵⁴⁾، ففتحها صلحاً كصلح مدينة الرها وولي معاوية بن ابي سفيان صفوان بن المعطل فكان بها حتى تُوفي⁽¹⁵⁵⁾.

وبعد أن استقرَّ الأمرُ للمسلمين وسكنت الأوضاعُ في شمشاط ، توجه حبيب بن مسلمة بأمرٍ من معاوية بن أبي سفيان والي بلاد الشام إلى مدينة ملطية ، ففتحها عنوةً ورتب فيها رابطةً من المسلمين مع عاملها وقدمها معاويةً وهو يريد دخول الروم فشحها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف⁽¹⁵⁶⁾ ، وقد ذُكِرَ أنَّ الصحابة قد بنوا فيها المسجد الجامع⁽¹⁵⁷⁾، وتقع

(153) البلاذري ، المصدر السابق ، 193 .

(154) البلاذري ، المصدر نفسه ، 184 .

(155) البلاذري ، المصدر نفسه ، 184 .

(156) البلاذري ، المصدر نفسه ، 191 .

(157) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، 192/5 .

ملطية اليوم في جمهورية تركيا في شرق الأناضول وسُكَّانها خليطٌ من التُّرك والكُرد
وُتسِّى بوابةً تركيا وبوابة الدولة العثمانية⁽¹⁵⁸⁾.

ويتَّضحُ من مَسارِ الأحداث التاريخية ، استقرار الأوضاع في المناطق المفتوحة في
بلاد الروم ، ممَّا أعطى رغبةً لَدَى الخليفة عثمان بمواصلَة الفتح وأخذ زمام
المبادرة في هذا السبيل إذ ، ((كتب عُثمانُ إلى حبيب يأمرُه بِغزو أرمينية ، فَمَهَضَ
إليها في ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة فأتى قاليقلا فأناخَ عليها وخرجَ إليه
أهلُها فقاتلهم ثُمَّ أَلْجَأَهُمْ إِلَى المدينة فطَلَبُوا الأمانَ عَلَى الجَلَاءِ والجزية فَجَلَا
كثيرٌ منهم فَلاحِقُوا ببلاد الروم ، وأقامَ حبيبٌ بها فيمَن معه أشهرًا))⁽¹⁵⁹⁾ ، وكانت
إقامةُ حبيب بن مسلمة فيها لِترتيبِ أوضاعِها الإدارية وترتيب مَهامِ حمايتها ،
وبينما هو في هذا إذ أبلَغته عيونه أن بطريق أرمينيا قس قد جُمعَ الجُموع وحُشدَ
الجيوش ، وقد انضمت إليه أمداد أهل اللان وأفخاز وسَمندر من الخزر⁽¹⁶⁰⁾ ،
فطَلَبَ المددَ من معاوية في الشام والخليفة عثمان في المدينة ، فَبَعَثَ إليه معاوية
ألفي رجلٍ أسكنهم قاليقلا وأقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها ولمَّا وَرَدَ عَلَى
عُثمانَ كتابُ حبيبٍ كَتَبَ إِلَى عاملِه عَلَى الكوفة يأمرُه بِإمداده بجيش فسارَ
جيشُ الكوفة بستة آلافِ رجلٍ⁽¹⁶¹⁾ ، فكانَ الفتحُ والنصرُ على هذه الجموع .

لقد ألقى هذا الواقعُ بظلاله على المُدن القريبة من قاليقلا ، فقرَّرَ بعضُ حُكَّامِ
المُدن طلبَ الأمانِ ، وزاوَعَ بعضهم قليلاً وقاومَ ولم يَجِدْ فائدةً من ذلك فأقرَّ

(158) http://www.turkstat.gov.tr/prelstatistiktablo?istab_id=1590.

(159) البلاذري ، المصدر السابق ، 199 .

(160) البلاذري ، المصدر نفسه ، 199 .

(161) البلاذري ، المصدر نفسه ، 199 .

بالصُّحِّح فقد ذُكِرَ ، ما أن انهزمت الروم عاد حبيب إلى قاليقلا ثم سارَ منها فنزلَ مريالاً فأتاهُ بطريقِ خلَاط بكتابِ عياضِ بنِ غنمِ بأمانِهِ فأجرأهُ عليه وحَمَلَ إليه البطريقِ وما عليه من المال(162).

وقد دفعَ هذا الواقعُ القائدَ حبيبِ بنِ مسلمةِ إلى التوغُّلِ في بلادِ الرومِ أكثرَ ، فنزلَ خلَاطُ ثم سارَ منها فلَقِيَتهُ صاحبُ مكسٍ وهي من البسفرجانِ فقاطَعَهُ على بلادِهِ ثم سارَ منها إلى أزدشاطِ وهي القريةُ التي يكونُ فيها القرمزُ الذي يصبغُ به فنزلَ على نهرِ ديبيلِ وسرَحَ الخيولَ إليها فحَصَرَها فتحصَّنَ أهلُها فنصَّبَ عليهم مِنْجَنِيقا فطلبوا الأمانَ فأجابهم إليه ، وقد جاءَ في كتابِ حبيبِ لأهلِ الديبيلِ :

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبِ بْنِ مُسْلِمَةَ لِنَصَارَى أَهْلِ دَيْبِيلٍ وَمَجُوسِيهَا وَمِيهَوْدِيهَا شَاهِدَهُمْ وَغَائِبُهُمْ: إِنِّي أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَكِنَائِسِكُمْ وَيَبْعِكُمْ وَسُورِ مَدِينَتِكُمْ فَأَنْتُمْ آمِنُونَ وَعَلَيْنَا الْوَفَاءُ لَكُمْ بِالْعَهْدِ مَا وَقَّيْتُمْ وَأَدَّيْتُمْ الْجِزْيَةَ وَالْخَرَاجَ شَهِدَ اللَّهُ - وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً -))(163).

ثم بثَّ السرايا فبلَّغتْ خَيْلُهُ ذاتَ اللجمِ وإنَّما سمَّيتْ ذاتَ اللجمِ أنَّ المسلمين أخذوا لجمَ خيولهم فكَبَسَهم الرومُ قبل أن يلجموها ثم أجموها وقتلواهم فظفروا بهم ووجهَ سريةٍ إلى سراجِ طيرِ وبغروندِ فصالحَهُ بطريقها على إتاوة(164).

(162) ابن الاثير ، المصدر السابق ، 479/2 .

(163) البلاذري ، المصدر السابق ، 199 .

(164) ابن الاثير ، المصدر السابق ، 479/2 .

وقصد حبيب بعدها بلدة النشوى ، إذ لم تكن تبعد عن الديبل أكثر من عشرين فرسخاً⁽¹⁶⁵⁾، ففتحها على مثل صلح ديبيل وقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه عن جميع بلاده وأرضى هصابنه وأفارسته على خراج يؤديه في كل سنة، ثم أتى السيسجان فحاربهم أهلها فهزمهم وغلب على أرضهم وصالح أهل القلاع بالسيسجان على خراج يؤديه⁽¹⁶⁶⁾.

(165) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (المتوفى: نحو

280هـ) ، المسالك والممالك ، دار صادر ، (بيروت: 1889) ، 213.

(166) البلاذري ، المصدر السابق ، 200.

الفصل الخامس: موقفه من خلافِ علي ومعاوية (رضي الله عنهما)

يُعدُّ الخلافُ الذي حصل بينَ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وبين معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) على أثرِ استشهاد عثمان بن عفان ، ثُلْمَةً في التاريخ الإسلامي ونُقْطَةً دَاكِنَةً في ثَوْبِهِ الأَبْيَض ، فقد جرَّ هذا الخلافُ الى الاقتتال بين المسلمين وأوّل مرّةٍ في تاريخ الإسلام ، فانقَسَم المسلمون آنذاك بين هذه الفئة أو تلك ، واختار قِسْماً منهم الاعتزالُ .

فبعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه شهدت الأمة الإسلامية انقسامًا سياسيًا كبيرًا كان له أثر عميق على مسار التاريخ الإسلامي انقسم المسلمون إلى فريقين رئيسيين: فريق يؤيد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه باعتباره الخليفة الشرعي، وفريق يدعم معاوية بن أبي سفيان، الذي طالب بالقصاص لعثمان قبل مبايعة الخليفة الجديد.

هذا الانقسام أدى إلى اندلاع معارك كبرى، مثل معركة الجمل وصفين، وزاد من تعقيد الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأمة.

في ظل هذا الصراع، ظهر فريق ثالث عُرف بالـ"معتزلين"، وهم الذين رفضوا الانحياز لأي من الطرفين. رأى هؤلاء أن الابتعاد عن القتال هو الحل الأمثل للحفاظ على وحدة الأمة وتجنب سفك الدماء. كان هذا الموقف تجسيدًا لفكرة الحياد الإيجابي، حيث فضّلوا التركيز على العبادات والعمل الصالح، متجنبين الخوض في الصراعات السياسية.

ظل هذا الانقسام مؤثرًا في تاريخ المسلمين، مما يدعو للتأمل في أهمية الوحدة وتغليب مصلحة الأمة على المصالح الفردية.

وَلَسْنَا بِصَدَدِ الحَدِيثِ عن حَيْثِيَّاتِ الفِتْنَةِ ، بِقَدْرِ تَعَلُّقِ الأمرِ بموقف حبيب بن مسلمة الفهري منها ، الذي بقي مُرابطاً في جبهة الشام منذ سنة 15هـ حتى

استشهاد الخليفة عثمان ، وارتباطه مع معاوية بروابط قوية صنعتها السنوات الطوال التي عاشها معه ، والظروفُ الصعبة التي عاشها الإثنان، فضلاً عن أفراح الانتصارات والفتوح على الروم .

ولأنّ لكلّ شيء بداية كان لأبديّ لنا من معرفة جذور العلاقة بين الطرفين ولذا تمّ تقسيمُ المبحث الى مطلبين رئيسيين فقد تحدّث الأول : عن جذور العلاقة ونصرة عثمان ، فيما أفصَحَ الثاني : عن علاقته مع معاوية بن أبي سفيان أميراً وخليفة .

المبحث الاول : جذورُ العلاقة ونُصرةُ عثمان

تَعوَدُ علاقةُ حبيب بن مسلمة الفهري بالخليفة عثمان الى خلافته (رحمه الله) على أَرَجِحِ تقديرٍ ، فبالرُّغْمِ من تبوُّء حبيب بن مسلمة مكانةً مُميّزةً في قلوبِ الصحابة أجمع ، بسببِ جهوده العظيمة في الفتوحات الإسلامية ، وبلاءه الحسن في إدارة المدن المفتوحة ، إلا أننا لا نَمَلِكُ نصّاً يُفَسِّرُ العلاقةَ بين عثمان وحبيب قبلَ الخلافة .

بعدَ أن تولى عثمانُ بن عفان الخلافةَ ، كان حبيب بن مسلمة قد أمسى عَلماً من أعلامِ الفتوح ، وعلامةً فارقةً في تاريخِ الجهاد الإسلامي في الشام والجزيرة وتُغورِها (القارة الأوربية الآن) ، فقد كان حبيبُ بن مسلمة الفهري من أبرزِ القادة الذين حاربوا في أرمينية البيزنطية؛ فقد أبادَ جُيوشاً بأكملها للعدوّ، وفتحَ حُصوناً ومُدُنًا كثيرةً⁽¹⁶⁷⁾، كما أنّ عثمانَ بِخُلُقِهِ الجميلِ ولينِ عَريكتِهِ ، ومواقِفِهِ الجليّةِ من الإسلامِ ونبيّه والمسلمين ، قد فَرَضَ حُبَّهُ على الناس ، ممّا أوجدَ علاقةً جيدةً الى حدِّ كبيرٍ بين القائد وخليفته ، فاعتمَدَ عليه في المهامِ الجسيمة الصعبة وكَلَّفَهُ ما لم يُكَلِّفْ غيرهُ من القادةِ ، حتى أصبحَ حبيبٌ من ألمعِ قادةِ الفتوح في زمن عثمان وذلك لِما أسداهُ من خدمات جليّة للفتح الإسلامي⁽¹⁶⁸⁾.

في ظلّ هذه العلاقة العميقة التي تربط الطرفين ، مضافاً إليها مكانةُ الخلفية ومنزلتهِ في قلوبِ المسلمين ، كان حبيب بن مسلمة يُناظر عن بُعدٍ تطوُّرَ الأحداثِ في مدينة رسول الله ، وينتظرُ الأمرَ لِيُدافعَ عن الخليفة ويُشَيِّبَ المُندسِّين

(167) الصلابي ، المرجع السابق ، 187 .

(168) الصلابي ، المرجع نفسه ، 187 .

والرُعاع والأعراب من حوله ، ولكنَّ عثمانَ لم يشأ أن يُقتلَ رجلٌ واحدٌ في هذه الفتنة⁽¹⁶⁹⁾، وضحى بنفسه حتى لا يلقى الله بدمٍ امرئٍ مُسلمٍ .

وقبيلَ مَقْتَلِ الخليفةِ عثمانَ رأى حبيبُ بنَ مسلمة رؤيا تدلُّ على مَقْتَلِهِ، فقال : أُرِيتُ فيما يرى النَّائمُ أنَّ بَعِيرًا عَرَبِيًّا سَمِينًا بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ انْتَهَى إِلَيْهِ أَعرَابٌ هزلي فاطافوا به فَخَفَّتُهُمْ عَلَيْهِ وَصَحَّتْ بِهِمْ فبادروه فَعَقَرُوهُ ثُمَّ انْتَبَهُهُ ، فَلَمَّا أَصَبَحْتُ أَتَانِي أَصْحَابِي وَإِنِّي لَأَقُصُّهَا عَلَيْهِمْ⁽¹⁷⁰⁾، إذ جاءَ رسولُ مُعاويةَ ومعهُ كتابٌ منه يَسْتَشِيرُهُ قائلًا : أَشْرَ عَلَيَّ بِرَجُلٍ مُنْفَذٍ لِأَمْرِي، وَلَا يُقَصِّرُ، قال: ما أعرفُ لَذاكَ غَيْرِي قال: أنتَ لها وجعلَ على مُقَدِّمَتِهِ يزيدَ بنَ شجعة الحميري في ألف وقال: إن قدمتَ يا حبيبَ وقد قتل، فلا تدعن أحدا أشار إليه ولا أعان عليه إلا قَتَلْتَهُ، وإن أتاك الخُبْرُ قبلَ أن تصلَ، فأقيم حتى أنظر. وبعثَ يزيدَ بنَ شجعة في ألف على البغال، يقودون الخيل، معهم الإبل عليها الروايا فأغذ السير، فأتاه قتلُهُ بِقُرْبِ خَيْبَرٍ. ثُمَّ أتاهُ النعمانُ بنَ بشير، معه القميص الذي قتلوه فيه، فيه الدِّماءُ وأصابعُ امرأته نائلة، قد قطعوها بضربة سيفٍ، فرَجَعُوا⁽¹⁷¹⁾.

لقد كان مقتلُ عثمانَ بنِ عفان على يدِ الرعاع والغوغاء والمتأسلمين، حدثاً عظيماً هزَّ مشاعرَ العالم الإسلامي وأدمى قلوبهم، فليس مقتله كَمَقْتَلِ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطاب (رضي الله عنهما) ، الذي قُتِلَ غَدراً وهو قائمٌ يصلي ، بل كان

(169) الشيباني ، ابو عبد الرحمن عبد الله بن احمد ، فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، تحقيق : ابو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني ، دار ماجد عسيري ، (السعودية : 2000) ، ط1 ، 166 .

(170) المالقي ، محمد بن يحيى بن محمد ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ، تحقيق: محمود يوسف زايد ، دار الثقافة ، (الدوحة :1405هـ) ، ط1 ، 200 .

(171) الذهبي ، المرجع السابق ، 32/4 .

قتله جهاراً نهاراً ، وكان من حُبِّ قتلته ومكرهم أن انضمَّوا الى الخليفة التالي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وكان والله كُفئاً لها وأهلاً ، حتى يخلطوا الأوراق ببعضها⁽¹⁷²⁾ ، وكان الخليفةُ علي بن ابي طالب يريدُ

أن يُعاقبَ قتلةَ عُثمان بنفسهِ باعتباره الخليفةَ المنتخَبُ أولاً ، وحتى لا تكونَ حجةٌ يتحجَّجُ بها كل من يُقتلُ له قتيلاً فيأخذُ بثأره ، كما أن خوفه من نُشوبِ الفتنةِ بين المسلمين هو من دَفَعَهُ ، إلى مَنَعِهِ من قتالِ قتلةِ عُثمان وتَرْكِ الاقتصاصِ منهم⁽¹⁷³⁾.

في ظلِّ هذا الموقفِ المتأزِّمِ انقسمَ المسلمون بين علي ومعاوية وكلا الفريقين ، يُبْتَوْنَ الفضلَ لعلي بن أبي طالب ، ولكنهم يريدون الاقتصاص من قتلةِ عُثمان في نفسِ الوقت ، ولما كان معاوية بن أبي سفيان رافعاً لواءِ الاقتصاص من قتلةِ عُثمان ، انضمَّ إليه حبيب بن مسلمة مع الكثيرين من الصحابة - باعتباره وليُّ الدِّمِ وحقيقُ النُّصرة - .

(172) الراقي، مصطفى يونس ، الوجيز المفيد في تبيان اسباب ونتائج قتل الخليفة عثمان ، بحث مقدم الى قسم التاريخ - كلية الاداب / جامعة قار يونس - اجدابيا ، وهو جزء من متطلبات نيل درجة اللينساس في الاداب ، ص 7 .

(173) الراقي ، المرجع نفسه ، ص 7 .

المبحث الثاني : علاقته مع معاوية بن أبي سفيان أميراً وخليفة

تعودُ جذورُ العلاقة بين حبيب بن مسلمة ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) ، إلى السنوات الأولى لِتحريرِ الشام فقد كان الإثنين يُقاتِلون في جبهةٍ واحدة ، وبِمَنْزِلَةِ تَكَادُ تَكُونُ واحدةً ، فقد كان معاوية بن أبي سفيان قائداً وإدارياً وكذلك كان حبيبُ بن مسلمة ، وتطوّرت العلاقةُ عندما جَمَعَ عُمرُ بن الخطاب لمعاويةَ الشَّامات (174)، فأصبح حبيبٌ يتولَّى الثغورَ ويغزو الرومَ تحت إمرة معاويةَ ومَشورته من بَعْدِ الخليفة .

وبهذه الصيغة تولدت علاقةً طيبة بين الرجلين ، وأصبح حبيبٌ من خواصِّ معاوية وله معه آثارٌ محمودةٌ شكرها له معاوية (175)، وقد زادَ من تماسُكِ هذه العلاقة ولُحمتها حادثهٌ مقتلِ عثمان ، ومسألة المطالبة بثأره ومعاوية الجناة ، وما جرّه هذا الأمر من خلافٍ بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، وما أنتجته من كوارث كالجَمَلِ وصِفِّينَ .

فقد كانَ في صفِّ معاوية يومَ صِفِّينَ ، وكان على ميسرة معاوية ، ويُروى أَنَّهُ حَمَلَ على ميمنةَ علي فانكشَفوا وجالوا جولةً (176)، وانتهت كارثة صِفِّينَ على قتلِ المسلمين وانشطارِ أمرِهِم وتكالبِ عَدُوِّهِم .

بعدَ أن انتهت صِفِّينَ واتَّفَق الطرفان إلى التحكيم ، بأن يبعثَ الخليفةُ عليَّ رجلاً يُمَثِّلُهُ وأن يبعثَ الأمير معاوية رجلاً يُمَثِّلُهُ ثم يتَّفَق الرجلان على ما فيه من خيرٍ

(174) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيض، دار الثقافة، (الدوحة: 1989)، ط1، 83 .

(175) ابن الجوزي، تلقيح فهوم الاثر ، 269 .

(176) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 168/7 .

للمسلمين⁽¹⁷⁷⁾، وقد ذُكِرَ أَنَّ معاويةَ خطبَ الناسَ في إحدى مراحل الفتنة وفهم عبد الله بن عمر وحبيب بن مسلمة ، فقال : مَنْ كان يريدُ أن يتكلّم في هذا الأمر فليُطلِعْ لنا قرنته فلنَحْنُ أَحَقُّ به منهُ ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهَلَّا أَجَبْتَهُ؟ قال عبد الله: فحللت حَبَوَتِي وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ أَحَقُّ بِهَذَا الأمرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلَامِ، فخشيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ وَتَسْفِكُ الدَّمَ ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعدّ الله في الجنان. قال حبيب حفظتُ وعصمتُ⁽¹⁷⁸⁾، مما يعكس شخصية حبيب المحبّذة لوحدة الصف بالرُغم من تأييده لكلام ابن عمر عن معاوية (رضي الله عنهم).

ولعلّ التّصّ السابقُ يسلطُ الضوءَ على الوجه الثاني من أوجهِ العلاقة بين حبيب ومعاوية (رضي الله عنهما) ، وهو وجهُ الخلاف بين الرّجلين في بعضِ الأمور بالرُغم من عمقِ العلاقة بينهما ، وهذا الخلافُ الذي أفصحَ عنه معاوية بصورة صريحة يومَ وفاة حبيب (رحمه الله) فقال واصفاً له ، وأمّا حبيب - فكان يقولُ: السُّنَّةُ السُّنَّةُ. يُرِيدُ سُنَّةَ الشَّيْخِينَ - رضي الله عنهما-⁽¹⁷⁹⁾ ، وهو ما يُقَسِّرُ تَمَسُّكَ حبيب بسُنَّةِ الشَّيْخِينَ أَشَدَّ التَّمَسُّكِ ، ممّا أثار امتعاضُ معاوية بن ابي سفيان ، وبالرُغم من ذلك لم يكن معاوية ليُفَرِّطَ بقائدهِ فَدَّ كحبيب بن مسلمة وإنّ بدا منه ما أثار امتعاضَهُ .

(177) ابن كثير ، المصدر نفسه ، 306/7.

(178) ابن حجر ، الإصابة ، 23/2 .

(179) الزركلي ، المرجع السابق ، 166/2 .

ولأنَّ آجالَ الناسِ حتماً مقضياً ، فقد أتى أَجلُ القائدِ الفدِّيِّ الصحابيِّ الجليلِ حبيب بن مسلمة الفهري سنة 42 هـ (180) ، بعدَ حياةٍ اتَّصفتْ بِقُصرِ السَّنواتِ وعِظَمِ الإنجازاتِ ، قضاها حبيب بن مسلمة في الفتوح الإسلاميَّةِ و أوصلَ الإسلامَ إلى مناطقٍ نائيةٍ ، فجزاهُ اللهُ عن الإسلامِ خيراً .

(180) ابن سعد ، المصدر السابق ، 542/6؛ وينظر ابن عبد البر ، المصدر السابق ،

321/1؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، 621/2 .

الخاتمة

مما تقدّم يتبيّن لنا ما يأتي :

1. الجهودُ العظيمةُ التي بُذِلت في الفُتوحات الإسلامية من أجل إيصال رسالة السماء إلى أُمَم الأرض .

2. يتّضح لنا أن مَعِينِ الصحابةِ المُتخرّجين من مدرسة النبوة لا يَنْضَبُ ، إذ كانت أجيالٌ وراء أجيالٍ يتسلّمون رايةَ الفُتوح لِيَمْضُونَ بها قُدماً لإبلاغ مقصودِ الله عزّ وجلّ .

3. قتالُ المسلمين في بيئة غريبة عليهم تَمَتَّازُ بالبردِ الشّدِيدِ والظُرُوفِ المناخية القاسية ، يُوَكِّدُ وبِشْكَلٍ لا يَقْبَلُ الشكَّ ، الإمكانية الكبيرة في التحوُّلِ والمقدرةِ والمرونةِ في التكيف مع المُستجِدّات ، وهو ما أعطاهم هذا الإنجازُ وهذا التقدُّمُ .

4. إنّ الشجاعة البارزة التي امتازَ بها حبيب بن مسلمة ، والإيمانَ بموعدِ الله عزّ وجلّ في النَّصْرِ والتَّمَكِينِ ، كانا أبرزَ الأسلحة التي اعتمدَ عليها هؤلاء الأكارم في حَوضِ الحُرُوبِ وفتحِ بلدان لم تطَّأها أقدامُ عربيٍّ أو مُسلمٍ من قَبْلُ .

5. لقد امتازَ حبيب بن مسلمة رضي الله عنه بالجلم والأناة والتقوى والورع والزهادة والعدالة والقضاء وحيثيات القسمة فضلاً عن المعرفة العميقة بأصول الخيل أيلها وهجينها ، ألى جانب ما اشتهر به بالشجاعة والإقدام ، وهو يُعطي هذا الفاتح قيمةً كُبرى تليقُ برجلٍ مثلهُ .

6. على الرغم من الإنجازات الكبيرة التي حققها هذه المآجد ولكن ما يلفت النظر في سيرتهم قلة المعلومات التي تحدتت عن جوانب كثيرة من حياتهم العامة أو الخاصة ، فلا نجد قصة لأحد هؤلاء (رضي الله عنهم) قد اكتملت من نقص ، وهو أمرٌ يضيرنا كباحثين ولا يضيرهم وكيف لا وقد علم الله صنيعهم وسيجزهم عنه خير الجزاء .

7. من المسائل اللافتة للنظر حالة الإيثار التي هو عليها وتفضيل المصلحة العامة للدين ومن ذلك نشره وإيصاله للناس في أقطاب المعمورة ، والأمثلة على ذلك كثيرة لعل من أبرزها ما روي عنه وزوجته وقصة المواعدة التي قطعتها هجمة الروم ففضل حبيب (رضي الله عنه) تلبية الواجب وقتال الروم على لقاء زوجته المبتعد عنها من شهر .

8. لم يكن هنالك قاعدة ثابتة في تعيين القادة في عمق الثغور والتي تتبع اليوم القارة الأوروبية ، فمن القادة من كان منهم من جند الشام أمثال مسلمة بن حبيب الفهري ، حيث كانت ظروف تلك اللحظة ومقتضيات الحاجة فضلاً عن الإمكانية العسكرية وخبرتها هي التي تتحكم بطريقة التعيين ومكانه .

9. لقد كان من مقتضيات الفتوح في تلك البلدان وغيرها الدعوة الى الإسلام وتعليم اللغة العربية ، وقد اثبتت الكوادر الإسلامية مقدرته في هذا حيث ذكر أن سكان القوقاز دخل بعضهم في الإسلام سنة 24 هـ في نهاية عصر الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

10. لقد اكتسب حبيب رضي الله عنه كأحد القادة المسلمين شهرة واسعة وألقاباً طغت على اسمائهم وأنسابهم نتيجة الشجاعة والفضل واستمرار الجهاد في بلاد الروم فهذا حبيب بن مسلمة لقب بحبيب الروم لكثرة إيقاعه بهم.

11. كان من آثار الفتوح التي أحدثها هؤلاء الأبرار أن ارتبط اسم بعض المناطق المفتوحة بأسمائهم ، ومثال ذلك قرية بطنان حبيب نسبة الى فاتحها حبيب بن مسلمة الفهري.

12. لقد ارتبطت عملية الفتوحات الإسلامية لبلاد الروم وأرمينيا وأمثالها بطبيعة الاستقرار السياسي للدولة العربية الإسلامية في عصر الراشدين ، ففي حين أدت حالة الاستقرار في زمن عمر بن الخطاب والنصف الأول من عهد عثمان (رضي الله عنهما) إلى التوغل والتعمق في أرض الروم (تركيا وأذربيجان وأرمينيا) ومملكة الخزر (جمهوريات الاتحاد الروسي مثل داغستان الشيشان وغيرها) وكراچستان (جورجيا) ، حالة الفتنة ومقتل عثمان وحروب الجمل وصقن إلى تراجع هذا المد وانشغال القادة في الاقتتال الداخلي بدل الفتوح الخارجية .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الاولية

ابن ابي خيثمة : ابو بكر احمد

(1) التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة ، تحقيق : صلاح بن فتحي هلال ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، (القاهرة :2006) ، ط 1 .

ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي (ت: 630هـ)

(2) اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض . الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط2 (بيروت:2002) .

(3) الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفدى عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1987) ط1.

ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)

(4) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، (بيروت : 1997) ، ط1 .

(5) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر ، ط1 (بيروت : د.ت) .

ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ)

(6) الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1415هـ) ، ط1 .

ابن خرداذبة: أبو القاسم عبید الله بن عبد الله (ت: نحو 280هـ)

(7) المسالك والممالك، دار صادر، (بيروت: 1889).

ابن سعد: أبو عبد الله محمد (ت: 230هـ)

(8) الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت: 1968).

ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت463هـ)

(9) الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1 (بيروت: 1992).

ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله

(10) العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيض، دار الثقافة، (الدوحة: 1989)، ط1.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (ت: 571هـ)

(11) تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن غرامه، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت: 1995).

ابن كثير: أبي الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ)

(12) البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق وتعليق: علي شيري مكتبة المعارف، (بيروت: 1966)، ط1.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ)

(13) فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت : 1988 م) .

الحاكم: محمد بن عبد الله (ت405هـ)

(14) المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،

الخطيب : أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت: 463هـ)

(15) تاريخ بغداد ، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت : 2002) ط1.

الذهبي : محمد بن عثمان بن قیماز (ت : 748هـ)

(16) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، (بيروت: 2003)، ط4 .

(17) سير اعلام النبلاء ، دار الحديث ، (القاهرة : 2006) .

سعيد بن منصور : بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت : 227هـ)

(18) سنن سعيد بن منصور ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الدار السلفية، (الهند : 1982) ، ط1 .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك(ت: 764هـ)

(19) الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ، (بيروت : 2000) .

الطبراني : أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (ت: 360هـ)

(20) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، (الموصل:1985)، ط2.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310)

(21) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف (مصر:1961).

مسلم: بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت:261هـ)

(22) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل، (بيروت: د.ت).

مغلطاي: بن قليج بن عبد الله البكجري (ت: 762هـ)

(23) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (دم: 2001)، ط1.

المكي: محمد بن احمد الحسني (ت:832هـ)

(24) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1998)، ط1.

المالقي: محمد بن يحيى بن محمد

(25) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق: محمود يوسف زايد، دار الثقافة، (الدوحة:1405هـ)، ط1، 200.

الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت: 207هـ)

(26) فتوح الشام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1997) ، ط 1 .

وكيع : أبو بكرٍ مُحَمَّدُ الضَّبِّيُّ البَغْدَادِيّ، (ت: 306هـ)

(27) أخبار القضاة ، المحقق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز

مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى ، (مصر : 1947) .

ياقوت : أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)

(28) معجم البلدان ، دار صادر، (بيروت : 1995) ، ط 2 .

ثانياً : المراجع الثانوية

الزركلي : خير الدين

(1) الاعلام ، دار العلم للملايين ، (بيروت : 2002) ، ط 15 .

الصلابي : علي محمد محمد

(2) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه - شخصيته

وعصره ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (القاهرة : 2002) ، ط 1 .

(3) الدولة الأمويّة عَواملُ الازدهارِ وتَداعيات الانهيار، دار المعرفة للطباعة

والنشر والتوزيع، (بيروت : 2008) ، ط 2 .

(4) فصل الخطاب في سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، دار المعرفة

للطباعة والنشر ، (بيروت : د.ت) .

علي : جواد

(5) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الساقى ، (بيروت:2001).

العمرى : اكرم

(6) عصر الخلافة الراشدة ، مكتب العبيكان ، (السعودية : د.ت).

ثالثاً : الدوريات والمجلات العلمية

حميدي : فتحي سالم

(1) مدينة تفليس دراسة تاريخية من الفتح الاسلامي وحتى سنة 515 هـ
1121/م، بحث منشور في مجلة ابحاث التربية الاساسية المجلد 8، العدد
1 ، 2008م (كلية التربية – جامعة الموصل).

الراقى : مصطفى يونس

(2) الوجيه المفيد في تبيان اسباب ونتائج قتل الخليفة عثمان ، بحث مقدم الى
قسم التاريخ – كلية الاداب / جامعة قار يونس – اجدابيا ، وهو جزء من
متطلبات نيل درجة الليسانس في الاداب .

محسن : نكتل يوسف

(3) سلمان بن ربيعة الباهلي صحابة في الظل ، مقال منشور في مجلة سعد بن
معاذ العدد 4 ، السنة الأولى ، 2024م.

رابعاً: المواقع الالكترونية

(1) <https://arabic.rt.com>.

(2) http://www.turkstat.gov.tr/prelstatistiktablo?istab_id=1590.

(3) <HTTPS://MAWDOO3.COM>

(4) <https://m.marefa.orj>.

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم الرباعي : نكتل يوسف محسن عبد الزبيدي ، من مواليد : الموصل
1982م، يعمل تدريسي في دائرة التعليم الاسلامي وعضو للجنة تاليف المناج
المدرسية في العراق وعضو اللجنة العلمية .

- حاصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي السيرة النبوية والخلافة
الراشدة
- عضو في عدة مؤسسات علمية عراقية وعربية ودولية منها عضوية
الاتحاد العالميين للمؤرخين، وعضوية الهيئة الاستشارية العليا لمؤسسة
أريد الدولية في لندن ، وعضوية اتحاد كتاب الانترنت العراقيين .
- حصل على 40 كتاب شكر من جامعات ومؤسسات عراقية وعربية
وعالمية.
- حاصل على 45 كتاب شكر وتقدير من جامعات ومؤسسات عراقية
وعربية وعالمية
- شارك في 12 مؤتمر علمي في العراق والوطن العربي والعالم
- قدم 15 ندوة علمية في العراق وخارجه.
- خبير علمي في 8 مجلات علمية محكمة داخل العراق وخارجة .
- حائز على 15 جائزة عراقية وعربية وعالمية بسبب نتاجات علمية
ومشاركات أكاديمية .
- نشر 70 بحث ودراسة وورقة عمل في العراق والوطن العربي والعالم .
- وله عشرات القصص القصيرة المنشورة في العراق والوطن العربي فاز
بعضها بجوائز .

الكتب المنشورة :

أولاً: الكتب المنشورة

أ. الكتب المنفردة

1. العز بن عبد السلام رجل العلم والعمل والمواقف عن دار نون - العراق
2018م
2. صفية بنت عبد المطلب كفاح طويل وسيرة مشرفة عن دار نون - العراق
2018م
3. المنة فيمن بشره النبي بالجنة عن دار غيداء - الاردن 2018م
4. فاقدى البصر في عصر النبوة عن دار العصماء - سوريا 2019م
5. أوقات الصحابة الاخيرة عن دار غيداء 2020م .
6. صفية وبنوها تاريخ مخلص وذكر يتجدد عن دار امواج للنشر والتوزيع -
الاردن 2021م .
7. الكتابة وخطوات النجاح عن مؤسسة أمازون للنشر والتوزيع الدولي -
نيويورك / الولايات المتحدة الامريكية عام 2022م .
8. الحياة اليومية للمسلمين في المدينة المنورة في عصر الرسالة من (1-11هـ) عن
المركز الاكاديمي للنشر في الاسكندرية في جمهورية مصر العربية 2023م .

9. ميراث النبوة على لسان آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين في صحيح البخاري ومسلم عن مؤسسة اريد 2023م .
10. ذوو الأحتياجات الخاصة في عصري الرسالة والراشدي عن دار نون للنشر والتوزيع .
11. البيئة النباتية وأثرها في مجتمع المدينة المنورة خلال عصري الرسالة والراشدي عن مؤسسة جمعة الماجد 2024م .
12. المسك والطيب في سيرة والدي الحبيب وهي سيرة ذاتية تجسد شخصية والدي يوسف محسن عبد الجماس رحمه الله (1949-1986) . (تحت الطبع)
13. قطوف من سير الخلفاء الراشدين في قرآن رب العالمين عن دار البديل – الاردن 2024-2025م .
14. ثانوية سعد بن معاذ الإسلامية تاريخها ومنجزات كوادرها وطلابها (2005-2025م) عقدان من البذل والعطاء .
15. في القلب مسكنه " قصة " تجسد حياة الدكتور يوسف فندي الجبوري عن دار نون للنشر والتوزيع .
16. وكتابتنا هذا " حبيب بن مسلمة الفهري : الصحابي الذي اخترق حصون المدن الأوروبية بفتوحاته في عصر صدر الإسلام" .

ب . الكتب المشتركة

1. المشاركة في تأليف كتاب نواذر ادارية 2020م

2. المشاركة في تحقيق مخطوطة لتفسير البيضاوي (تحت الطبع)
 3. قادة الفتح الاسلامي في القوقاز خلال عصر الراشدين عن دار واشرقت للنشر والتوزيع - الموصل 2022م.
 4. المشاركة بتأليف كتاب بعنوان: " الشيخ محمد أمين الفيضي حياته وعصره " عن دار واشرقت للنشر والتوزيع - الموصل .
 5. المشاركة بتأليف كتاب بعنوان: " أبناء عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي وأثرهم في الجوانب الاجتماعية والدينية والعلمية حتى نهاية القرن الاول الهجري "
- كما يكتب في العديد من المواقع والمجلات الالكترونية على الشبكة العنكبوتية وله المئات من المقالات العلمية المنشورة في مجالات التاريخ وعلم النفس والتنمية البشرية وطرائق التدريس والتوثيق التربوي فضلا عن الجوانب المجتمعية في مواقع عدة مثل : شبكة الالوكة ومجلة المجتمع الاسلامي وموقع الشفاء وموقع طريق الاسلام وموقع ملتقى الخطباء وموقع الكتاب وموقع المعرفة وموقع الاستفادة وموقع أجفان ومنصة اريد للعلماء والمفكرين والباحثين الناطقين باللغة العربية (وله فيها موقع علمي متكامل - عبر مدونة عالم - متاح فيه جميع الكتب والبحوث المقالات التي ليس عليها حقوق مؤسسة ما).

فهرس المحتويات

Contents

5	مُقدّمة.....
7	تمهيد.....
7	المبحث الأول: خلفيات وأسباب الفتوحات الإسلامية في أوروبا.....
9	المبحث الثاني: أبرز الفتوحات الإسلامية في شرق أوروبا.....
11	المبحث الثالث: أبرز الفتوحات الإسلامية في جنوب أوروبا.....
13	الفصل الأول: جهود الصحابة في الفتوحات الإسلامية.....
15	المبحث الأول: الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ.....
19	المبحث الثاني: جهود الصحابة في عصر الخلفاء الراشدين.....
20	المطلب الثاني: دور الصحابة في توسع الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب.....
21	المبحث الثالث: توغل الصحابة في بلاد الروم والقوقاز.....
23	المبحث الرابع: أثر جهود الصحابة في بناء الحضارة الإسلامية.....
25	المطلب الثاني: التأثير الحضاري والديني لفتوحات الصحابة.....
26	الفصل الثاني: نشأته وصفاته الخلقية.....
26	المبحث الأول: نسبه ونشأته.....
28	المطلب الثاني: نشأته وصفاته الخلقية.....
31	المبحث الثاني: ثناء الصحابة عليه وأقوال المؤرخين فيه.....
33	المطلب الثاني: أقوال المؤرخين وأصحاب التراجم فيه.....
34	الفصل الثالث: حياته الأسرية وأراءه الفقهية.....
35	المبحث الاول: أسرته الأولى ونشأته في مكة.....

37.....	المبحث الثاني: زوجاته وأبنائه ومواليه.....
42.....	المطلب الثاني: أبنائه ومواليه.....
47.....	المبحث الثالث: آراءه الفقهية.....
50.....	المطلب الثاني: نفل الإمام.....
52.....	المطلب الثالث: غنائم الحرب.....
54.....	المطلب الرابع: ما يعطى للمرأة من الغنيمة.....
56.....	الفصل الرابع: جهوده في الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين.....
57.....	المبحث الأول: دوره في الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق.....
59.....	المبحث الثاني: إسهاماته بالفتوح الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب.....
65.....	المبحث الثالث: جهوده في الفتوحات والإدارة في عهد الخليفة عثمان بن عفان.....
72.....	الفصل الخامس: موقفه من خلاف علي ومعاوية (رضي الله عنهما).....
74.....	المبحث الأول: جذور العلاقة ونصرة عثمان.....
77.....	المبحث الثاني: علاقته مع معاوية بن أبي سفيان أميراً وخليفة.....
80.....	الخاتمة.....
83.....	قائمة المصادر والمراجع.....
90.....	السيرة الذاتية للمؤلف.....
94.....	فهرس المحتويات.....

حبيب بن مسلمة الفهري

الصحابي الذي أخترق حصون المدن الأوربية
بفتوحاته في عصر صدر الإسلام

يُسلط هذا الكتاب الضوء على سيرة الصحابي الجليل «حبيب بن مسلمة الفهري» أحد أبرز القادة العسكريين في صدر الإسلام، الذي ساهم في توسيع رقعة الدولة الإسلامية من بلاد الشام والعراق إلى أعماق القوقاز وأطراف أوروبا. خاض حروبًا شرسة في مواجهة القلاع الحصينة، وتميز بعبقريته العسكرية وشجاعته الفذة.

يعرض الكتاب دوره في الفتوحات الإسلامية خلال الخلافة الراشدة وبداية العصر الأموي، متتبعًا نشأته، مواقفه السياسية، وأثره في التاريخ الإسلامي. بأسلوب علمي موثق، يفتح هذا العمل نافذة على أحد القادة الذين تركوا بصمتهم في مسيرة الفتح الإسلامي، متجاوزًا حدود المؤلف في الدراسات التاريخية التقليدية.